رَوَائِعُ الإِنْتِقَاءِ

مِنْ كِتَابِ

الدَّاءِ وَالدَّوَاءِ



إعداد

الدُّكْتُورِ سَعْدِ اللَّهِ المُحَمَّدِي

مَرْكَزُ الأَمَاجِدِ

لِلْبَحْثِ العِلْمِيِّ وَتَحْقِيقِ التُّرَاثِ



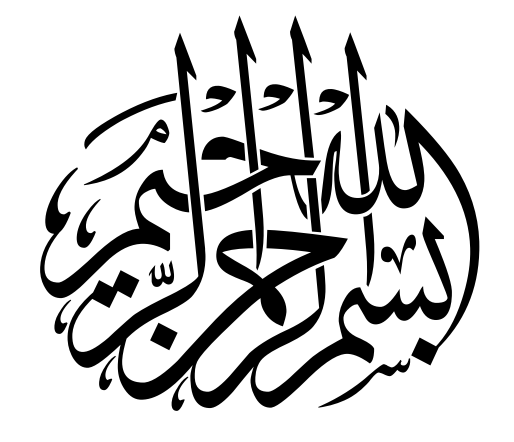
إعداد

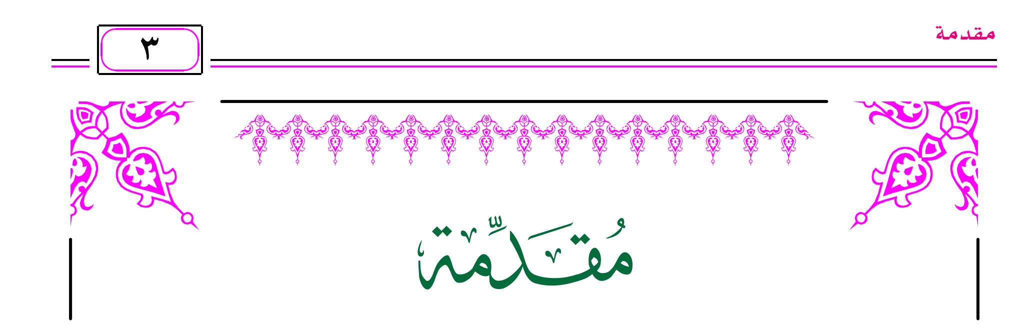
الدكتور سعد الله المحمدي






شبكة
الألوكة


بسم الله الرحمن الرحيم



مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على نبيّنا محمّد وآله وصحبه وسلم أجمعين، أمابعد:

فهذه فوائد لطيفة ومعانى شريفة، ومنقولات ماتعة ومواعظ نافعة، انتقيتُها واختصرتُها من كتاب الداء والدواء لصاحب المؤلفات المفيدة، والتعليقات السديدة، الإمام المصّنِفُ، العلامة المحقّق ابن قيم الجوزية رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقد اعتمدتُ في استخراج هذه الفوائد والفرائد، واللطائف والعبر، والجواهر والدّرر في الحلقات الأربع الأولى، على طبعة دار ابن الجوزي، بتحقيق الشيخ علي بن حسن الحلبي الأثري رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ونشرت على شبكة الألوكة كالتالي:

١- مختارات من كتاب الداء والدواء.

٢- فوائد من كتاب الداء والدواء.

٣- روائع الانتقاء من كتاب الداء والدواء.

٤- رحيق الشفاء من كتاب الداء والدواء.

٥- تغريدات من كتاب الداء والدواء.



واعتمدتُ في اختيار مواضيع الحلقة الخامسة والأخيرة على طبعةِ دار عطاءاتِ العلْمِ التي حقّقَها الشيخُ محمد أجمل الإصلاحي، بإشراف الشيخ العلامة بكر بن عبد الله بو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وأسأل الله تعالى أن ينفعني بها وجميع المسلمين.

✍ كتبه

د. سعد الله المحمدي

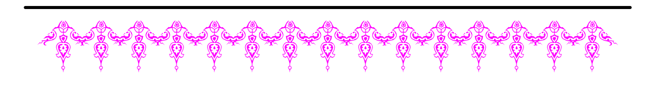
مملكة البحرين في ١٥ ربيع الأول ١٤٤٦هـ

الموافق: ١٨ سبتمبر ٢٠٢٤م











الحلقة الأولى:
مختارات من كتاب الداء والدواء

١- كلمة (من) في قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ﴾:

قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢].

كلمة (مِن) ها هُنا لبيان الجنس لا للتبعيض؛ فإنّ القرآن كلّه شفاءٌ ورحمة للمؤمنين، فهو شفاءٌ للقلوبِ من داء الجهل والشكّ والرّيْبِ، ولم يُنزِلِ اللهُ تعالى من السماءِ شفاءً قطُّ أعمّ ولا أنفعَ ولا أعظمَ ولا أنجعَ في إزالة الداء من القرآن. ص: ١٣

٢- التداوي بالفاتحة:

ولو أحسنَ العبدُ التداويَ بالفاتحةِ لرأى لها تأثيرا عجيباً في الشفاء، ص: ١٤

٣- الدعاء من أنفع الأدوية في إزالة الداء:

الدعاء من أنفعِ الأدوية، وهو عدوّ البلاء، يدافعه ويُعالجُه، ويمنع نزولَه، ويرفعه، أو يخفّفه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن. ص: ١٦



٤- من أسرار الدعاء:

كثيراً ما نجدُ أدعيةً دعا بها قومٌ فاستُجيب لهم، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورةُ صاحبِه وإقبالُه على الله، أو حسنَةٌ تقدّمت منه جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إجابةَ دعوته شكراً لحسنته، أو صادفت وقت إجابة، ونحو ذلك فأجيبت دعوته، فيظنُّ الظانُّ أن السرّ في لفظ ذلك الدعاء، فيأخذُه مجرّدا عن تلك الأمور التي قارنته من ذلك الداعي. ص: ٢٥

٥- الدعاء بمنزلة السلاح:

والأدعية والتعوُّذات بمنزلة السلاح، والسلاحُ بضاربه، لا بحدّه فقط؛ فمتى كان السلاحُ سلاحاً تامّا لا آفة به، والساعدُ ساعدٌ قويٌّ، والمانعُ مفقودٌ، حصلت به النّكايةُ في العدو، ومتى تخلّف واحدٌ من هذه الثلاثة؛ تخلّف التأثيرُ، فإذا كان الدعاءُ في نفسه غيرَ صالح، أو كان ثَمّ مانعٌ من الإجابة؛ لم يحصل الأثَرُ. ص: ٢٦

٦- الاستنصار على العدوّ بالدعاء:

كان عمرُ بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يستنصر بـ (الدعاء) على عدوّه، وكان أعظم جُندِهِ بِهِ، وكان يقول لأصحابه: " لستم تُنصرون بكثرة، وإنما تنصرون من السماء" وكان يقول: " إني لا أحملُ هَمَّ الإجابة ولكن همَّ الدعاء، فإذا أُلهمتم الدعاء فإنّ الإجابة معه" ص: ٢٨



٧- الأسباب الجالبة للخير:

دلّ العقلُ والنقلُ والفطرةُ وتجارِبُ الأمم- على اختلاف أجناسها ومِلَلِها ونِحَلها- على أنّ التّقرّب إلى ربّ العالمين، وطلب مرضاته، والبرّ والإحسان إلى خَلْقِه من أعظم الأسباب الجالبة لكلّ خير، وأضدادُها من أكبر الأسباب الجالبة لكلّ شر، فما استُجْلِبَتْ نِعَمُ الله تعالى واستُدفِعَتْ نقمتهُ بمثل طاعته والتقرّب إليه، والإحسان إلى خلقه. ص: ٢٩

٨- حُسن الظنّ بالله هو حُسن العمل:

مَنْ تأمّل حقّ التأمُّلِ عَلِمَ أنّ حُسنَ الظنّ بالله هو حُسْنُ العملِ نفسهِ، فإنّ العبدَ إنّما يحملُه على حُسْنِ العمل حسنُ ظنّه بربه أن يُجازيه على أعمالِه ويُثيبه عليها ويتقبّلها منه، فالذي حَمَله على حُسن العمل حُسنُ الظنّ، فكلّما حسّن ظنّه بربّه حَسّن عمله، وإلا فحسن الظن مع اتباع الهوى عَجْزٌ. ص: ٣٩

٩- بين عفو الله وأمره:

كثيرٌ من الجُهّال اعتَمدُوا على رحمة الله وعفْوه وكَرمِهِ، وضيّعوا أمرَه ونهيِه، ونَسُوا أنه شديدُ العقاب، وأنّه لا يُرّدُ بأسهُ عن القوم المجرمين، ومن اعتمد على العَفْوِ مع الإصرار على الذنب فهو كالمُعاند. ص: ٤١

١٠- خير الناس وشرّ الناس:

وسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقولُ: كما أنّ خيرَ الناس الأنبياءُ؛ فشرّ الناس من تشبّه بهم من الكذّابين، وادعى أنّه منْهم وليس منهم، فخيرُ الناس بعدهم: العلماءُ، والشهداءُ، والمتصدّقون المُخلِصون، وشرّ الناسِ مَنْ تشبه بهم يُوهم أنّه منهم وليس منهم. ص: ٥٢

١١- الاستدراج بنعم الله:

قال بعضُ السلف: "إذا رأيتَ اللهَ يتابعُ عليك نِعَمَه وأنت مُقيم على معاصيه فاحْذَرْهُ؛ فإنّما هو استدراجٌ يستدرجُك به".

وقال بعض السلف: "رُبَّ مُستَدرج بنعم الله عليه وهو لايعلمُ، ورُبّ مغرورٍ بستر الله عليه وهو لايعلمُ، ورُبّ مفتونٍ بثناء الناس عليه وهو لايعلمُ" ص: ٥٤-٥٥

١٢- الفرق بين حُسن الظنّ والغرور:

إنّ حُسنَ الظّنّ إنْ حَمَلَ على العملِ وحثّ عليه وساقَ إليه فهو صحيحٌ، وإن دعا إلى البطالةِ والانهماكِ في المعاصِي فهو غرورٌ.
ص: ٥٩

١٣- الإتيان بالأسباب من لوازم الرجاء وحسن الظنّ:

الرجاءُ وحُسْنُ الظنّ إنّما يكونُ مع الإتيانِ بالأسبابِ التي اقتضتْها حكمةُ الله في شرعِه، وقَدَرِه، وثوابِهِ وكرامتِهِ، فيأتي العبدُ بها ثمّ يُحسنُ ظنّه بربّه، ويرجوهُ أنْ لايكِلَه إليها، وأنْ يَجعَلها مُوصلة لما ينفعُهُ، ويصرفَ عنه ما يعارضُها ويبطلُ أثَرَها. ص: ٦٠

١٤- العمل مع الخوف:

منْ تأمّل أحوالَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وجدَهم في غايةِ العملِ مع غايةِ الخوف، فكان الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذا قام إلى الصلاةِ كأنّه عودٌ منْ خشية الله عَزَّوَجَلَّ، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يمرّ بالآية في وِرْده بالليلةِ فَتُخيفُهُ، فيبقى في البيتِ أياماً يُعادُ يحسبونَهُ مريضاً، وهذا عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان إذا وقفَ على القبرِ يبكي حتى تبتلّ لحيتُه، وكان علي ابن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يشتدّ خوفه من طول الأمل واتباع الهوى؛ فيقول: فأمّا طولُ الأمل فينسى الآخرة، وأمّا اتباع الهوى فيصدُّ عن الحق، ألا وإنّ الدنيا قد ولّت مدبرة والآخرة مقبلة، ولكلّ واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا؛ فإنّ اليومَ عملٌ ولا حسابٌ، وغدا حسابٌ ولا عمل. ص: ٦٣-٦٤

١٥- ضرر الذنوب والمعاصي:

الذنوب والمعاصي تضرُّ ولابدّ، وإنّ ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدانِ، على اختلاف درجاتها في الضّرر، وهل في الدنيا والآخرة شرٌّ وداءٌ إلا وسببُه الذنوبُ والمعاصي؟

فما الذي أخرجَ الأبوين من الجنّة دار اللذة والنعيمِ والبهجةِ والسرور، إلى دار الآلام والأحزانِ والمصائب؟

وما الذي أخرج إبليسَ مِنْ ملَكوتِ السماء وطرده ولعَنهُ ومسخَ ظاهره وباطنه؟

وما الذي أغرق أهلَ الأرض كلّهم حتى علا الماءُ فوقَ رؤوس الجبال؟

وما الذي سلّط الريحَ على قوم عادٍ حتى ألقتْهم موتى على وجه الأرض كأنّهم أعجازُ نخلٍ خاويةٍ؟

وما الذي أرسلَ على قومِ ثمودَ الصّيحةَ حتى قطّعتْ قلوبَهم في أجوافِهم وماتوا عن آخِرهم؟

وما الذي رفعَ قرى اللّوطيّة حتى سمعتِ الملائكةُ نبيحَ كلابهم ثم قلّبها عليهم، وأتبعهم حجارة من السماء؟

وما الذي أرسل على قوم شعيب سحابَ العذاب كالظّلل، وأمطر عليهم نارا تلظّى؟

وما الذي أغرق فرعون وقومه في البحر؟ وما الذي خسف بقارونَ وداره وماله وأهله؟ وما الذي أهلك القرون من بعد نوحٍ؟ وأهلك قوم صاحب يس بالصيحة؟ وما الذي بعث على بني إسرائيل قوما أولي بأس شديد؟ ص: ٦٦-٦٧



١٦- ضياعُ أمرِ الله سببٌ للهوانِ والهلاكِ:

أورد الإمامُ أحمد في كتاب الزّهد بسندٍ صحيح عن عبدالرحمن ابن جُبير بن نفير عن أبيه، قال: "لما فُتِحَتْ قبرصُ فَفُرّق بين أهلها، فبكى بعضُهم إلى بعضٍ، رأيتُ أبا الدرداءِ جالِساً وحده يبكي، فقلتُ: يا أبا الدرداء! ما يبكيكَ في يوم أعزّ اللهُ فيه الإسلامَ وأهله؟ فقال: ويحك يا جُبيرُ: ما أهونَ الخلقَ على اللهِ عَزَّوَجَلَّ إذا أضاعوا أمره! بينا هي أمّةٌ قاهرةٌ ظاهرةٌ، لهم الملكُ، تركوا أمرَ اللهِ فصاروا إلى ما ترى" ص: ٦٧-٦٨

١٧- الحسنات يولّد بعضها بعضا، وكذلك المعاصي:

المعاصي تزرعُ أمثالَها، ويولّد بعضُها بعضاً، حتّى يَعُزّ على العبدِ مفارقَتُها والخروجُ منها، وكذلك الحسنات تدعو إلى حسنات أخرى. ص: ٨٨

١٨- جنود الطاعة وجنود المعصية:

لايزال ُالعبدُ يعاني الطاعةَ ويألفُها ويحبُّها ويُؤثِرُها حتى يُرسلَ اللهُ تعالى برحمته إليه الملائكةَ تؤزّهُ إليها أزّاً، وتُحَرِّضه عليها، وتُزعجهُ عن فراشهِ ومجلسهِ إليها.

ولايزالُ يألفُ المعاصي ويُحبّها ويؤثِرُها حتى يُرسلَ اللهُ عليه الشياطينَ فتؤزّهُ إليها أزّاً.

فالأوّلُ قوّى جُندَ الطاعةِ بالمدَدِ، فصارُوا مِنْ أكبرِ أعوانهِ، وهذا قوّى جندَ المعصيةِ بالمدد، فكانوا أعوانًا عليه. ص: ٨٨-٨٩

١٩- التعوّدُ على المعاصي تسلخُ القلب عن استقباحها:

المعاصي تنسلخُ من القلب استقباحَها، فتصيرُ له عادةً، فلا يستقبحُ من نفسهِ رؤيةَ النّاسِ له كلّهم، ولا كلامَهم فيه.

وهذا عندَ أربابِ الفسوقِ هو غايةُ التهتّكِ وتمامُ اللذةِ، حتى يفتخرَ أحدُهم بالمعصيةِ، ويُحَدّثَ بها مَنْ لم يعلمْ أنّهُ عملَها، فيقولُ يا فلانُ! عملتُ كذا وكذا! ص: ٨٩-٩٠

٢٠- المعاصي سببٌ لهوان العبد:

ومنها: أنّ المعصيةَ سببٌ لهوانِ العبدِ على ربّهِ وسقوطهِ من عينهِ، قال الحسنُ البصريُّ: هانُوا عليه فعصَوْهُ، ولو عَزّوا عليه لعَصَمَهُمْ.

وإذا هانَ العبدُ على اللهِ لم يُكْرِمْهُ أحدٌ، كما قالَ الله تعالى: ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحَجّ: ١٨] وإنْ عظّمهم الناسُ في الظاهرِ لحاجتهِم إليهم أو خوفاً من شرّهم، فهم في قلوبهم أحقرُ شيءٍ وأهونهُ. ص: ٩١

٢١- المعاصي تورثُ الذلّ:

المعصيةُ تُورِثُ الذُّلَّ ولابُدَّ، فإنّ العِزّ كلّ العِزّ في طاعةِ اللهِ، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ [فَاطِر: ١٠] أي فليطلُبها بطاعةِ الله، فإنّه لا يجدُها إلا في طاعتِه، وكانَ من دعاء بعضِ السّلفِ: اللهم أعِزّني بطَاعَتِكَ، ولا تُذِلّني بمعصيَتِكَ.

قال الحسنُ البصريّ: إنّهم وإن طقطقتْ بهم البغالُ و هَمْلَجَتْ بهم البراذينُ، إنّ ذُلّ المعصيةِ لا يُفارقُ قلوبَهم، أبى اللهُ إلّا أن يُذِلَّ مَنْ عَصاهُ. ص: ٩٢

٢٢- المعاصي سببٌ للفساد:

مِنْ آثارِ الذنوبِ والمعاصي: أنّها تُحْدثُ في الأرضِ أنواعاً من الفَسادِ في المياهِ والهواءِ، والزروعِ والثمارِ، والمساكنِ، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِي عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الرُّوم: ٤١].

قال عكرمةُ: ظهر الفساد في البرّ والبحر، أما إنّي لا أقولُ لكم: بَحْرُكم هَذا، ولكنْ كُلُّ قريةٍ على ماءٍ. ص: ٩٩

٢٣- المنع من دخول ديار ثمود إلا وهم باكون:

من تأثيرِ المعاصي في الأرضِ: ما يَحِلُّ بها من الخَسفِ والزلازِلِ ويمحقُ بركتَها، وقد مرّ رسولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على ديارِ



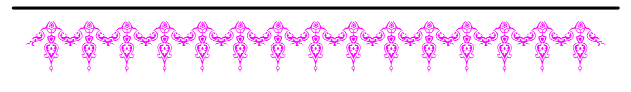
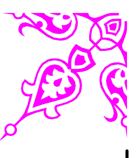


ثمودَ، فمنعَهُم مِنْ دُخُولِ ديارهم إلا وهم باكونَ، ومنْ شُرْبِ مياههم، ومنَ الاستقاءِ من آبارهِم، حتّى أمرَ أن يُعْلَفَ العجينُ الذي عُجِنَ بمياهِهِمْ للنّواضِحِ، لتأثيرِ شؤمِ المعصيةِ في الماءِ، وكذلك تأثيرُ شؤمِ الذنوبِ في نقصِ الثمارِ وما تُرمى به منَ الآفات. ص: ١٠٠-١٠١







الحلقة الثانية:
فوائد من كتاب الداء والدواء

١- أشرفُ الناس همة أشدّهم غيرة:

أشرفُ الناس وأجدّهم وأعلاهم همّة أشدّهم غيرة على نفسهِ وخاصّتهِ وعموم الناس، ولذا كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أغيرَ الخلقِ على الأمّةِ، واللهُ سبحانَه أشدّ غيرةً منه، كما ثبتَ في الحديثِ الصحيح. ص: ١٠٢

٢- الحياءُ مشتقٌّ من الحياة:

الحياءُ مشتقّ من الحياةِ، والغيثُ يسمّى حَيَا -بالقصر- لأنّ به حياةَ الأرضِ والنباتِ والدوابّ، وكذلك سمّيتْ بالحياء حياةَ الدنيا والآخرة، فمن لاحياءَ فيه ميتٌ في الدنيا شقيٌّ في الآخرة. ص: ١٠٦

٣- العلاقةُ بين الحيَاءِ والمعصيةِ:

من استحيى من الله تعالى عند معصيته، استحيي الله من عقوبته يومَ يلقاه، ومن لم يستحِ من معصيته لم يستحِ من عقوبته. ص: ١٠٧



٤- من عقوبات المعاصي:

من عقوبات المعاصي على العبدِ أنْ يرفعَ الله عَزَّوَجَلَّ مهابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ، ويهونَ عليهم، ويستخفُّونَ به، كما هانَ عليه أمرُه واستخفَّ به، فعلى قدرِ محبّة العبدِ للهِ يُحبُّه الناسُ، وعلى قدرِ خوفهِ مِنَ اللهِ يخافُهُ الخلقُ، وعلى قدرِ تعظيمِه للهِ وَحُرُماتِهِ يُعظّمُ الناسُ حُرُماتِهِ. ص: ١٠٧

٥- الخيراتُ المترّتبة على الإيمانِ:

رتَّبَ اللهُ تعالى في كتابهِ على الإيمانِ، نحوُ مائةِ خَصلةٍ، كلّ خصلةٍ منها خيرٌ مِنَ الدنيا وما فيها:

- فمنها: الأجرُ العظيمُ: ﴿وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ١٤٦﴾ [النِّسَاء: ١٤٦].

- ومنها: الدفعُ عنهم شرورَ الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحَجّ: ٣٨].

- ومنها: استغفارُ الملائكةِ وحملةِ العرش لهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غَافِر: ٧].

- ومنها: موالاةُ اللهِ لهم، ولا يُذَلُّ مَنْ والاهُ اللهُ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: ٢٥٧].

- ومنها: أمرهُ ملائكتَهُ بتثبيتِهِم: ﴿إِذۡ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمۡ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ﴾ [الأنفَال: ١٢].



- ومنها: العزّة: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

- ومنها: معيّةُ الله لأهلِ الإيمان: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾﴾ [الأنفال: ١٩].

- ومنها: الرفعةُ في الدنيا والآخرة: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

- ومنها: الودُّ الذي يجعلهُ الله سبحانه لهم، وهو أنّهُ يحبُّهم ويحبّبُهم إلى ملائكتِه وأنبيائِه وعبادِهِ الصالحين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾ [مريم: ٩٦].

- ومنها: أمانُهم من الخوفِ يومَ يشتدُّ الخوفُ: ﴿فَمَنْ ءَامَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأنعام: ٤٨]. ص: ١١٠-١١١

٦- فوائد في حديث: أعوذُ بِكَ منَ الهمّ والحزَن:

استعاذَ النّبيُ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ من ثمانية أشياء في قوله: «اللهم إني أعوذ بك من الهمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ، وضَلَعِ الدّيْنِ وغَلَبَةِ الرّجالِ» [رواه البخاري: ٦٠٠٨]

وكلُّ اثنين من هذه الثمانية قرينان:

فالهمُّ والحزَنُ قرينان؛ فإنّ المكروهَ الواردَ على القلبِ إن كانَ منْ أمرٍ مستقبلٍ يتوقّعه أحدثَ الهَمّ، وإنْ كانَ من أمرٍ ماضٍ قد وقعَ أحدثَ الحزنَ.

والعجزُ والكسلُ قرينان: فإنْ تخلّفَ العبدُ عن أسبابِ الخيرِ والفلاحِ، إنْ كانَ لعدمِ قدرتِهِ فهو العجزُ، وإنْ كانَ لعدمِ إرادتِهِ فهو الكسلُ.



والجُبنُ والبخل قرينانِ، فإنْ عدمَ النّفع منه إنْ كانَ ببدنِهِ فهو الجبنُ، وإنْ كانَ بمالِهِ فهو البخلُ.

وضَلَعُ الدّيْنِ وقهرُ الرجالِ قرينانِ، فإنّ استعلاءَ الغيرِ عليه إنْ كانَ بحقٍّ فهو مِنْ ضلعِ الدّيْنِ، وإنْ كانَ بباطلٍ فهو قهر الرّجالِ.

والمقصودُ أنّ الذّنوبَ منْ أقوى الأسبابِ الجالبةِ لهذه الأشياء الثمانيةِ. ص: ١١٢

٧- المعاصي تزيلُ النّعم وتحلّ النّقم:

منْ عقوباتِ الذنوبِ: أنّها تُزيلُ النّعمَ وتحلُّ النّقمَ، فما زالتْ عنِ العبدِ نعمةٌ إلا بذنبٍ، ولا حلّتْ به نقمةٌ إلّا بذنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبةٍ؛ كما قال عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: «ما نزلَ بلاءٌ إلّا بذنبٍ، ولا رُفِعَ بلاءٌ إلا بتوبة».

وقد قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ [الشّورى: ٣٠] ص: ١١٣

٨- المعاصي سببُ الخوفِ والرُّعبِ في القلبِ:

من عقوبات المعاصي ما يُلقيه اللهُ سبحانه منَ الرُّعبِ والخوفِ في قلب العاصي، فلا تراهُ إلا خائفاً مرعوباً. فإنّ الطاعةَ حِصنُ اللهِ الأعظمُ الذي مَنْ دخَلَهُ كانَ مِنَ الآمنِينَ مِنْ عقوبةِ الدنيا والآخرة، ومَنْ خرجَ عنهُ أحاطَتْ به المخاوفُ مِنْ كلِّ جانبٍ؛ فمَنْ أطاعَ اللهَ انقَلَبتِ المخاوفُ في حقّهِ أمَاناً، ومَنْ عصاهُ انقلبتْ مآمنهُ مخاوفَ. ص: ١١٥



٩- إنّ الأبرارَ لفي نعيمٍ، المرادُ به نعم كثيرة:

لا تحسبْ أنّ قولهُ تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ۝١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ۝١٤﴾ [الانفطار: ١٣-١٤]

مقصورٌ على نعيم الآخرةِ وجَحِيْمِها فقط، بل في دُورِهم الثلاثة هُمْ كذلك - أعني: دارَ الدنيا، ودارَ البرزخِ، ودارَ القرار -؛ فهؤلاءِ في نعيمٍ، وهؤلاءِ في جحيمٍ.

وهل النعيمُ إلا نعيمُ القلبِ؟

وهل العذابُ إلا عذابُ القلبِ؟

وأيُّ عذابٍ أشدُّ منَ الخوفِ والهمِّ والحزنِ، وضيقِ الصدرِ، وإعراضِهِ عن اللهِ والدارِ الآخرة، وتعلّقهِ بغير اللهِ، وانقطاعِهِ عن اللهِ؟

ص: ١١٦

١٠- الذكر الجميل في خلق الله وعباده:

من أعظم نعم اللهِ على العبدِ: أن يرفَعَ له بينَ العالمَينَ ذِكْرَهُ، ويُعلِي قَدْرهُ، ولهذا خَصّ أنبياءَهُ ورسلَهُ مِنْ ذلك بما ليس لغيرهم، كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ۝٤٥ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ۝٤٦﴾ [ص: ٤٥-٤٦]، أي: خَصَصْنَاهُمْ بخصيصةٍ وهي الذكرُ الجميلُ الذي يُذكرونَ به في هذه الدارِ، وهو لسانُ الصدقِ الذي سألهُ إبراهيمُ الخليلُ عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ حيث قال: ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ۝٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ عنه وعن بنيه: ﴿وَوَهَبۡنَا لَهُم مِّن رَّحۡمَتِنَا وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ



صِدِّيقٗا نَّبِيّٗا ﴿٥٠﴾ [مريم: ٥٠].

وقال لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ﴿٤﴾﴾ [الشرح: ٤]

فأتباع الرسل لهم نصيبٌ من ذلك بحسب ميراثِهم من طاعتِهم ومتابعتِهم، وكلُّ مَنْ خالَفَهُمْ فاتَهُ مِنْ ذلك بحسبِ مخالفتِهم ومعصيتهم. ص: ١٢٠-١٢١

١١- المعاصي تمحقُ برَكة الدّين والدُّنيا:

من عقوبات المعاصي: أنها تمحقُ بركةَ العمرِ، وبركةَ الرزق، وبركةَ العلمِ، وبركةَ العملِ، وبركةَ الطَاعةِ.

وبالجملة؛ تمحقُ بركة الدّينِ والدنيا، فلا تجدُ أقلّ بركةٍ في عمرهِ ودينهِ ودنياه ممّن عصى اللهَ، وما مُحِقَتْ البركةُ من الأرضِ إلا بمعاصي الخلق.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]، وفي الحديث: «**وإنّ العبدَ ليحرمُ الرزقَ بالذّنبِ يصيبهُ**» [مسند الإمام أحمد: ٥/ ٢٧٧] ص: ١٢٤-١٢٥

١٢- سعة الرزق بالبركة فيه:

ليست سعةُ الرزقِ والعمل بكثرتهِ، ولاطولُ العمرِ بكثرة الشهورِ والأعوامِ، ولكن سعة الرزقِ بالبركة فيه، وإن مدّة عمرِ العبدِ هو مدّة حياتِه، ولاحياةَ لمنْ أعرضَ عنِ الله واشتغلَ بغيرِه، وَمِنْ كُلِّ شيءٍ يفوتُ العبدَ عوضٌ، وإذا فاتَه اللهُ لم يُعوّضْ عنه شيءٌ ألبتة. ص: ١٢٥



١٣- العمر الحقيقي للإنسان:

للمعاصِي أعظمُ تأثيرٍ في محقِ بركةِ العمر والرّزقِ والعِلم والعملِ، وكلُّ وقتٍ عُصيَ اللهُ فيه، أو مالٍ عُصِيَ اللهُ به، أو بدنٍ أو جاهٍ أو علمٍ أو عملٍ فهو على صاحبِه، ليْسَ لهُ، فليْسَ له مِنْ عُمرهِ ومالِهِ وقوّتِه وجاهِه وعلمِهِ وعمَلِهِ إلا مَا أطاعَ الله بهِ.

ولهذا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعِيشُ في هذه الدار مائةَ سنةٍ أو نحوَها، ويكونُ عمرهُ لا يبلغُ عشرَ سنينَ أو نحوَها، كما أنّ منهم مَنْ يملكُ القناطيرَ المقنطرةَ مِنَ الذهب والفضّةِ ويكونُ مالُهُ في الحقيقةِ لا يبلغُ ألفَ درهمٍ أو نحوُها، وهكذا الجاهُ والعلمُ. ص: ١٢٧

١٤- الطاعة تنوّر القلب:

الطاعَةُ تُنوّر القَلْبَ وتجلوهُ وتصقلهُ، وتُقوِّيهِ وتُثَبّتُهُ، حتى يصيرَ كالمِرْآةِ المصقولةِ في جلائِها وصفَائِها، فيتملىءَ نوراً، فإذا دنَا الشيطانُ منه أصابَهُ مِنْ نُور ما يصيبُ مسترقَ السمع مِنَ الشّهبِ الثواقِبِ، فالشيطانُ يَفْرُقُ مِنْ هذا القلبِ أشدَّ مِنْ فَرَقِ الذئبِ من الأسَدِ، حتى إنّ صاحِبَهُ ليصرعُ الشيطانَ فيخرُّ صريعاً، فيجتمعُ عليه الشياطينُ، فيقولُ بعضَهم لبعضٍ: ما شأنُه؟ فيقال: أصابهُ إنسيٌّ، وبه نظرةٌ من الإنْسِ!

فَيَا نَظْرَةً مِنْ قَلْبِ حُرٍّ مُنَوّرٍ   يَكَادُ لَهَا الشّيْطانُ بِالنُّورِ يُحْرَقُ

ص: ١٣٨

١٥- الحسناتُ تقرّب الملائكة من العَبْدِ:

لا يزالُ الملَكُ يقرُبُ مِنَ العبدِ حتّي يصيرَ الحكمُ والغلَبةُ والطاعةُ له، فتتولّاه الملائكةُ في حيّاتِهِ وعندَ موتِهِ وعندَ بَعْثِه، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [فُصّلت: ٣٠-٣١]

وإذا تولّاهُ المَلَكُ تولّاهُ أنصَحُ الخلقِ لهُ وأنفعُهم وأبرُّهُم له، فثبّته وعلّمه، وقوي جنانه، وأيّده، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الأنفال: ١٢]

ص: ١٥٥-١٥٦

١٦- فوائد قُربِ المَلَك من العَبد:

إذا اشتدّ قُرْبُ المَلَكِ مِنَ العبدِ تكلّمَ على لسانهِ، وألقى على لسانهِ القولَ السديدَ، وإذا بَعُدَ منه وقَرُبَ منه الشيطانُ تكلّم على لسانه، وألقى عليه الزّورَ والفُحْشَ، حتى يُرى الرجلُ يتكلّمُ على لسانِهِ المَلَكُ، والرجلُ يتكلّم على لسانِهِ الشيطانُ. وفي الحديث "إنّ السكينةَ تَنطقُ على لسان عمر" [مجمع الزوائد: ٩/ ٦٧]

ص: ١٥٦

١٧- دعاءُ الملائكة للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾ [غافر: ٧]

تضّمنَ هذا الخَبرُ عنِ الملائكةِ مِنْ مدحهم بالإيمانِ، والعملِ الصالح، والإحسانِ إلى المؤمنينَ بالاستغفارِ لهم، وقدّموا بين استغفارهمْ توسُّلَهُم إلى اللهِ سبحانه بسعةِ علمِه، وسعةِ رحمتِهِ، فسِعَةُ علْمِهِ تتضمّنُ علمَهُ بذنوبِهم وأسبابِها وضَعْفِهم عن العصمةِ، واستيلاءِ عدوّهم وأنفسِهِم، وهواهُم وطباعِهم، وما زُيّنَ لهم من الدنيا وزينتها، وعِلْمَه السابقَ بأنّهم لا بدّ أن يَعصُوهُ، وأنّهُ يحبُّ العفوَ والمغفرةَ؛ وغيرَ ذلك من سعةِ علمهِ الذي لا يُحيطُ به أحدٌ سواهُ.

وسعةُ رحمتِه تتضمَّنُ أنّه لا يهلكُ عليه أحدٌ من المؤمنينَ به من أهلِ توحيدِهِ ومحبّتِهِ، فإنّهُ واسعُ الرّحمةِ لا يخرجُ عن دائرةِ رحمتِهِ إلّا الأشقياءُ، ولا أشقى مِمّنْ لم تَسَعْهُ رحمتُهُ التي وسعَتْ كُلَّ شيءٍ.

ثم سألوهُ أن يغفرَ للتائبينَ الذين اتّبَعوا سبيلَهُ، وهو صراطُهُ المُوْصِلُ إليه الذي هو معرفتُهُ ومحبَّتُهُ وطاعتُهُ؛ فتابُوا مما يكرهُ، واتّبعوا السبيلَ الذي يُحبُّها؛ ثم سألوه أنْ يقيَهُم عذابَ الجحيم، وأنْ يُدخِلَهُم والمؤمنين - مِنْ أصولِهم وفروعِهم وأزواجِهِم- جناتِ عدنٍ التي وعدَهم بها.

ص: ١٦٨

١٨- العقوباتُ المترتّبةُ على الذّنوب:

رتّبَ اللهُ تعالى عقوباتٍ عديدة على الذّنوب وهي أدْعَى للنّفس لهجرانها، فمِنْ ذلك:

- الختمُ على القلوبِ والأسماعِ
- والغشاوةُ على الأبصار
- والإقفالُ على القلوب
- وجعل الأكنّةِ عليها
- والرّينُ عليها والطّبْعُ
- وتقليبُ الأفئدةِ والأبصار
- والحيلولةُ بين المرءِ وقلبه
- وإغفالُ القلبِ عن ذكرِ الرّبِ
- وإنساءُ الإنسانِ نفسَهُ
- وتركُ إرادةِ الله تطهيرَ القلب
- وجعلُ الصّدر ضيّقاً حَرَجاً كأنّما يصّعّد في السماءِ
- وصرفُ القلوبِ عن الحقّ
- وزيادتُها مرضاً على مرضها
- وإركاسُها ونكاسها بحيثُ تبقى منكوسة
- والتثبيطُ عن الطاعةِ والإقعادُ عنها
- وجعلُ القلب أصمّ لا يسمع الحقّ أبكمَ لا ينطق به
- والخسف بالقلب كما يُخسَفُ بالمكان وما فيه



- والبُعدُ عن البرّ والخيرِ ومعالي الأعمالِ والأقوالِ والأخلاق
- ومسخ القلبِ كما تُمسخُ الصورة

وكلّ هذا من عقوبات الذنوب الجارية على القلوب.

ص: ١٧٠-١٧٢

١٩- كم من مغرورٍ بستر الله عليه؟

فسبحانَ الله! كم من قلبٍ منكوسٍ وصاحبُه لا يشعرُ؟ وقلبٍ ممسوخ، وقلبٍ مخسوفٍ به، وكم مِنْ مفتونٍ بثناءِ النّاسِ عليه؟ ومغرورٍ بسترِ اللهِ عليه؟ ومستدرجٍ بنعَمِ الله عليه؟

وكلُّ هذه عقوباتٌ وإهاناتٌ، ويظنُّ الجاهلُ أنّها كرامةٌ!!

ص: ١٧٢

٢٠- فإنّ له معشية ضنكا:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ [طه: ١٢٤].

وفُسّرتِ المعيشةُ الضنكُ بعذابِ القبرِ، ولا ريبَ أنّهُ مِنَ المعيشةِ الضّنْكِ، والآية تتناول ما هو أعمُّ منه، وإنْ كانتْ نكرةً في سياقِ الإثباتِ، فإنّ عمومَها من حيثُ المعنى، فإنّه سبحانه رَتّبَ المعيشةَ الضّنْكَ على الإعراضِ عن ذكرِه، فالمُعْرِضُ عنه له من ضَنْكِ المعيشةِ بحسبِ إعراضه، وإنْ تَنَعّمَ في الدنيا بأصناف النّعم، ففي قلبه مِنَ الوحشةِ والذُّلِ والحسراتِ التي تقطعُ القلوبَ.



والمعيشة الضنك لازمةٌ لمَنْ أعرضَ عن ذكْرِ اللهِ الذي أنزَلهُ على رسولهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في دنياهُ وفي البرزخ ويومِ معادِه. ص: ١٧٣

٢١- الحياة الطيبة:

ولا تقرّ العينُ، ولا يهدأُ القلبُ، ولا تطمئنُّ النّفسُ إلّا بإلهِها ومعبودِها الذي هو حقٌّ، وكلُّ معبودٍ سواهُ باطلٌ، فمَنْ قَرّتْ عينُه باللهِ قرّتْ به كلُّ عينٍ، ومَنْ لم تقرّ عينُه باللهِ تقطّعَتْ نفسهُ على الدنيا حسراتٍ، والله تعالى إنّما جعَل الحياةَ الطيبةَ لمَنْ آمَنَ بالله وعملَ صالحاً كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النّحل: ٩٧]، فضَمِنَ لأهلِ الإيمانِ والعملِ الصالحِ الجزاءَ في الدّنيا بالحياة الطيّبة وبالحسني يومَ القيامة، فلهم أطيبُ الحياتين؛ وهم أحياءٌ في الدارين. ص: ١٧٣-١٧٤

٢٢- القلب السليم:

﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾

[الشُّعَرَاء: ٨٨-٨٩]

والقلبُ السليمُ هو الذي سلمَ من الشركِ والغلِّ والحِقد والحسدِ والشُّحِ والكبرِ، وحُبِّ الدنيا والرياسةِ؛ فسلمَ مِنْ كُلّ آفةٍ تُبْعِدُهُ عن اللهِ، وسَلِمَ مِنْ كُلّ شُبْهَةٍ تعارِضُ خبرَه، ومِنْ كلّ شهوةٍ تعارِضُ أمرَهُ، وسلمَ مِنْ كُلِّ إرادةٍ تُزاحِمُ مُرادَهُ، وسلمَ مِنْ كُلّ قاطعٍ يقطعُ

عن الله؛ فهذا القلبُ السليمُ في جنّةٍ مُعَجّلَةٍ في الدنيا، وفي جَنّةٍ في البرزخِ، وفي جنّةٍ يوم المعاد.

ولا تتمُّ سلامتُهُ مُطْلقاً حتى يسلمَ مِنْ خمسةِ أشياءَ: من شركٍ يناقضُ التوحيدَ. وبدعةٍ تخالفُ السُنّةَ. وشَهْوةٍ تخالفُ الأمرَ. وغَفْلةٍ تناقضُ الذّكرَ. وهوىً يناقِضُ التّجريدَ والإخلاصَ. ص: ١٧٥

٢٣- أعدل العدل هو التوحيد:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحَديد: ٢٥]

فأخبرَ سبحانه أنّه أرسلَ رسلَهُ وأنزلَ كتبَهُ ليقومَ النّاسُ بالقسطِ وهو العدلُ، ومِنْ أعظمِ القسطِ التوحيدُ، وهو رأسُ العدلِ وقوامُهُ، والشركُ أعظم الظلمِ، والتوحيدُ أعدلُ العدلِ. ص: ١٨٣

٢٤- إذ نسويكم برب العالمين:

قال تعالى عن أصحابِ الشرك لآلهتهم وقد جمعتهم الجحيم: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٩٧-٩٨]

ومعلومٌ أنّهم ما سَوّوْهُم به سبحانه في الخَلْقِ، والرّزْقِ، والإماتةِ، والإحياءِ، والمُلْكِ، والقُدْرةِ، وإنمّا سوّوْهُم به في الحُبِّ والتّألُّهِ والخضوعِ والتّذلّلِ لهم، وهذا غايةُ الجهلِ والظلم؛ فكيف يُسوّي الترابُ بربِّ الأربابِ؟ وكيفَ يُسَوّى العبيدُ بمالكِ الرقابِ؟

وكيفَ يُسَوّي الفقيرُ بالذّاتِ، الضعيفُ بالذّاتِ، العاجزُ



بالذّاتِ، المحتاجُ بالذّاتِ، الذي ليسَ لهُ من ذاته إلّا العَدَمُ، بالغنِّى بالّذاتِ، القادرِ بالذّات، الذي غِنَاهُ وقُدرتُه وملكُهُ وجودُهُ وإحسانُه وعلمُه ورحمتُه وكمالُه المطلقُ التّامُ من لوازِمِ ذاتِهِ؟!

فأيُّ ظُلم أقبحُ مِنْ هذا؟ وأيُّ حُكمٍ أشدُّ جَوْراً منه؟ حيثُ عدَلَ مَنْ لا عَدْلَ له بخلقه. ص: ١٩٠-١٩١

٢٥- المقصود بكلمة (ما ينبغي) في كلام الله ورسوله:

وإنما تجيءُ "لا ينبغي" في كلامِ اللهِ ورسولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للّذي هو في غايةِ الامتناعِ شرعاً، كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾﴾ [مريم: ٩٢]، وقوله: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس: ٦٩]، وقوله عن الملائكة: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الفرقان: ١٨] ص: ١٩٢

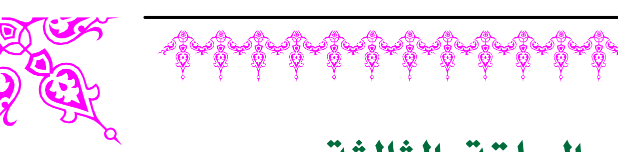
٢٦- مرض التكبر والتعالي على الناس:

فَمَنْ تَعاظَمَ وتَكَبّرَ وَدَعَا النَّاسَ إلى إطرائِهِ في المدحِ والتّعظيمِ والخضوعِ والرجاءِ وتعليقِ القلب به خوفاً ورجاءً والتجاءً واستعانةً؛ فقد تَشَبّهَ بِاللهِ ونَازَعَهُ في ربوبيّتِهِ وإلهيّتِهِ، وهو حقيق بأنْ يُهيْنَهُ اللهُ غايةَ الهوان، ويُذلّهُ غايةَ الذّلِ، ويجعلَهُ تحتَ أقدامِ خَلْقِهِ. وفي الصحيح عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «يقولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: **العَظَمَةُ إزاري، والكِبْرياءُ رِدَائي، فَمَنْ نَازَعَنِي واحِداً منهما عذّبتُهُ**» [رواه مسلم: ٢٦٢٠]

ص: ١٩٦









الحلقة الثالثة:
روائع الانتقاء من كتاب الداء والدواء

١- معرفة قدر الرب سبحانه:

لم يقْدُرِ الله حقّ قدرِهِ مَنْ هان عليه أمرُهُ فعصاهُ، ونهيُهُ فارتَكَبهُ، وحقُّهُ فضَيعَهُ، وذِكْرُهُ فَأهملَهُ، وغفلَ قلبُه عنه، وكان هواهُ آثرَ عنده مِنْ طلب رضاهُ، وطاعةُ المخلوقِ أهمَّ عندهُ مِنْ طاعتِهِ، فللّهِ الفَضْلَةُ مِنْ قلبِهِ وقولِهِ وعلمِهِ، وسواه المقدّمُ في ذلك لأنّهُ المهمُّ عندَه. ص: ٢٠٢

٢- داء التعطيل هو الداء العضال:

داءُ التَّعطيلِ هو الداءُ العُضالُ الذي لا دواء له، ولهذا حكى الله عُنْ فرعونَ أنّهُ أنكرَ على موسى ما أخبرَه به مِنْ أنّ رَبّهُ فوقَ السماواتِ، فقال: ﴿يَٰهَٰمَٰنُ ٱبۡنِ لِي صَرۡحٗا لَّعَلِّيٓ أَبۡلُغُ ٱلۡأَسۡبَٰبَ ٣٦ أَسۡبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبٗا﴾ [غافر: ٣٦-٣٧]

واحتج الشيخ أبو الحسن الأشعري في كُتبه على المعطّلة بهذه الآية. ص: ٢٠٥



٣- بين البدعة والمعصية:

قال بعضُ السلف: "البدعةُ أحبُّ إلى إبليسَ من المعصية؛ لأنّ المعصيةَ يُتابُ منها والبدعةُ لايُتابُ منها.

أ- وإنّ المذنبَ ضررُهُ على نفسِه، وأمّا المبتدعُ فضرره على النوعِ.

ب-وفتنةُ المبتدعِ في أصل الدّين، وفتنةُ المذنبِ في الشهوةِ.

ج- والمبتدعُ قد قعدَ للنّاسِ على صراطِ الله المستقيمِ يصدُّهم عنه، والمذنبُ ليس كذلك.

د- والمبتدع قادحٌ في أوصاف الربِ وكمالهِ، والمذنبُ ليس كذلك.

هـ- والمبتدعُ مناقضٌ لما جاءَ به الرسولُ، والعاصي ليس كذلك.

و- والمبتدعُ يقطعُ على الناسِ طريقَ الآخرةِ، والعاصي بطيءُ السيرِ بسببِ ذنوبهِ. ص: ٢٠٥-٢٠٦

٤- الفهم عن الله ورسوله:

ما أُوتي أحَدٌ -بعدَ الإيمانِ-أفضلَ مِنَ الفهمِ عنِ اللهِ، ورسولِهِ صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وذلك فضلُ اللهِ يؤتيهِ مَنْ يشاءُ. ص: ٢١٠

٥- الرباط على ثغور النفس:

من حفظَ هذه الأربعةَ أحرز دِينَهُ: اللّحَظاتِ، والخطَرَاتِ، واللّفظاتِ، والخُطُواتِ.

فينبغي للعبدِ أن يكونَ بَوّابَ نفسهِ على هذه الأبوابِ الأربعةِ،



يُلازمُ الرباطَ على ثغورها، فمنها يدخلُ عليه العدوُّ فيجوسُ خلالَ الدّيارِ ويُتَبِّرُ ما علا تَتْبِيراً. ص: ٢١٥

٦- خطورة الأماني الكاذبة:

أخسُّ الناس همّةً، وأوضعهم نفساً مَنْ رضيَ مِنَ الحقائِقِ بالأمانيِّ الكاذبةِ، واستجلبهَا لنفسهِ، وتحلّى بها، وهيَ -لَعَمْرُ اللهَ- رؤوسُ أموالِ المفْلِسينَ، ومتاجرُ الباطلين، وهي قوتُ النفسِ الفارغةِ التي قد قنعَتْ مِنَ الوصلِ بزورةِ الخيالِ، ومنَ الحقائقِ بكواذبِ الآمال؛ كما قال الشاعر:

أَمَانِيُّ مِنْ سُعْدَى رُوَاءٌ على الظّمَا
سقَتْنَا بِهَا سُعْدى عَلَى ظَماٍ بَرْدا
مُنىً إنْ تَكُنْ حَقّاً تَكُنْ أَحْسَنَ المـنُى
وإِلّا فَقَدْ عِشْنَا بِهَا زَمَناً رَغْدَا

ص: ٢١٩

٧- محاسبة النفس:

مِنْ طُرقِ محاسبةِ النّفسِ الفكرةُ في عيوبِ النفسِ وآفاتِهَا، وفي عيوبِ العملِ، وهذه الفكرةُ عظيمةُ النّفع، وهي بابٌ لكلِّ خيرٍ، وتأثيرُها في كسرِ النّفسِ الأمّارَةِ بالسوءِ، ومتى كُسِرَتْ عاشتِ النّفسُ المطمئنّةُ وانتعَشَتْ وصارَ الحكمُ لها، فحييَ القلبُ، ودارَتْ كلمتُهُ في مملكتِهِ، وبثَّ أمراءهُ وجنْدَهُ في مصالحِهِ. ص: ٢٢١



٨- الفرقُ بين وُرودِ الخَاطر واستدعائه:

اعلمْ أنَّ ورودَ الخاطِر لا يَضُرُّ، وإنّما يضُّر استدعاؤهُ ومحادثتُهُ، فالخاطرُ كالمارِّ على الطريقِ، فإن لم تستدعِهِ وتركتهُ مرَّ وانْصرفَ عنكَ، وإنِ استدعيتَهُ سَحَرَكَ بحديثِهِ وخِدَعِهِ وغُرُورِهِ، وهو أخفُّ شيءٍ على النفسِ الفارغةِ الباطلةِ، وأثقلُ شيءٍ على القلبِ والنفسِ الشريفةِ السماوية المطمئنة. ص: ٢٢٣

٩- القلب لوحٌ فارغٌ والخواطر تُنَقَشُ فيه:

القلبُ لوحٌ فارغٌ، والخواطرُ نقوشٌ تُنْقَشُ فيه، وكيفَ يليقُ بالعاقلِ أنْ تكونَ نقوش لُوحِهِ ما بين كذبٍ وغرورٍ وخدعٍ، وأمانيَّ باطلةٍ، وسرابٍ لا حقيقة له؟ فأيّ حكمة وعلمٍ وهدىً ينتقشُ مع هذه النقوش؟

وإنْ لم يُفرّغِ القلبُ مِنَ الخواطِرِ الرديّةِ لم تستقرّ فيه الخواطرُ النافعةُ، فإنّها لا تستقرُّ إلّا في محلٍّ فارغٍ. ص: ٢٢٣

١٠- القلوبُ كالقُدورِ:

قال يحيى بنُ معاذ: "القلوبُ كالقُدورِ تَغْلِي بما فيها، وألسنتها مغارِفُها؛ فانظرْ إلى الرجل حينَ يتكلّمُ فإنّ لسانَهُ يغترفُ لك به ممّا في قلبِهِ، حُلوٍ وحامضٍ، وعَذْبٍ وأُجاجٍ، وغيرِ ذلك، ويُبيْنُ لكَ طعمَ قلبِهِ اغترافُ لسانِهِ" أي: كما تَطْعَمُ بلسانِكَ طعْمَ ما في القُدورِ من الطعامِ، كذلك تطعَمُ ما في قلب الرّجل منْ لسانه. ص: ٢٢٥

١١- حفظ اللسان عن الفضول:

مِنَ العجَبِ أنّ الإنسانَ يهونُ عليه التحفّظُ والاحترازُ من أكلِ الحرامِ والظّلمِ والزّنى والسرقةِ وشربِ الخمرِ، ومِنَ النّظرِ المحرّمِ وغير ذلك، ويصعُبُ عليه التّحفّظُ مِنْ حركةِ لسانهِ، حتى ترى الرجلَ يُشارُ إليه بالدّينِ والزُّهدِ والعبادةِ، وهو يتكلّمُ بالكلماتِ مِنْ سخطِ الله لا يُلقى لها بالا ينزلُ بالكلمةِ الواحدَةِ منها أبعدَ مابينَ المشرقِ والمغربِ. ص: ٢٢٧

١٢- أيسر حركات الجوارح:

أيسرُ حركاتِ الجوارحِ حركةُ اللسانِ، وهي أضرّها على العبدِ.

ص: ٢٣٠

١٣- عثرة الرِّجل وعثرة اللسان:

ولمّا كانتِ العثرةُ عثرتين: عثرةَ الرِّجْلِ، وعثرةَ اللسانِ، جاءتْ إحداهُمَا قرينةَ الأخرى في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣]، فوصفَهم بالاستقامةِ في لفظاتِهم وخطواتِهم، كما جمعَ بينَ اللحظاتِ والخطراتِ في قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩] ص: ٢٣١

١٤- عذاب اللوطية:

اللوطية عكسُوا فِطرةَ الله التي فَطَرَ عليها الرجال، وقَلبُوا الطّبيعةَ التي ركّبَهَا اللهُ في الذكور-وهي شهوةُ النّساءِ دونَ شهوة الذكور- فقلبوا الأمرَ وعكسوا الفطرةَ والطبيعةَ، فأتَوُا الرجالَ شهوةً من دون النساء؛ ولهذا قلبَ اللهُ عليهم ديارَهم فجعل عاليَها سافلَها، وكذلك قلوبَهم، ونُكسوا في العذاب على رؤوسهم. ص: ٢٤٥

١٥- النظرة سهم مسموم:

إنّ النظرةَ سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليسَ، ومَنْ أطلقَ لَحَظَاتِهِ دامَتْ حسراتُهُ. ص: ٢٥٥

١٦- عشرة منافع لغضّ البصر:

الأولى: أنّه امتثالٌ لأمرِ اللهِ الذي هو غايةُ سعادةِ العبدِ في معاشِهِ ومعادِهِ.

الثانية: أنّهُ يمنعُ مِنْ وصولِ أثرِ السهمِ المسمومِ - الذي لعلّ فيه هلاكَهُ - إلى قلبِهِ.

الثالثة: أنه يُورّثُ القلبَ أُنْسا بًاللهِ وجمعيّةً عليه؛ فإنّ إطلاقَ البصرِ يُفرّقُ القلب، ويُبْعدُه عن الله تعالى.

الرابعة: أنّه يقوّي القلبَ ويُفْرِحُه، كما أنّ إطلاقَ البصرِ يُضعفُهُ ويُحزِنُهُ.



الخامسة: أنّهُ يُكسِبُ القلبَ نوراً كما أنّ إطلاقَهُ يُكسبهُ ظُلمةً، ولهذا ذكرَ اللهُ آيةَ النّور عقيبَ الأمرِ بغضّ البصرِ، فقال: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النُّور: ٣٠]، ثم قال: إثرَ ذلـــــك: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النُّور: ٣٥]، أي مثلُ نورهِ في قلبِ عبدهِ المؤمن الذي امتثلَ أوامرَهُ واجتَنَبَ نواهيه.

السادسة: أنّهُ يُورّثُ فراسةً صادقةً يميّزُ بها بينَ الحقِّ والباطلِ، والصادقِ والكاذبِ.

السابعة: أنّه يُورِثُ القلبَ ثباتاً وشجاعةً وقوّة، فجمعَ الله له بينَ سلطانِ النصرة والحجّة وسلطانِ القدرة والقوّة،

الثامنة: أنّه يسدّ على الشيطانِ مدخَلَه إلى القلب، فإنّه يدخل مع النّظرةِ وينفذُ معها إلى القلب أسرعَ مِنْ نفوذِ الهواء في المكانِ الخالي.

التاسعة: أنّه يفرّغ القلبَ للفكرَة في مصالحِه والاشتغال بها.

العاشرة: أنّ بين العينِ والقلبِ منفذا وطريقا، فإذا فسدَ القلبُ فسدَ النظر، وإذا فسد النظر فسدَ القلبُ. ص: ٢٥٥-٢٥٨

١٧- نور القلبِ:

إذا استنارَ القلبُ أقبلتْ وفودُ الخيراتِ إليه مِنْ كلِّ ناحيةٍ، كما أنّهُ إذا أظلمَ أقْبَلتْ سحائبُ البلاءِ والشرِّ عليه مِنْ كلِّ مكانٍ. ص: ٢٥٥



١٨- من أسباب الفراسة:

كانَ ابنُ شجاع الكرمانيِّ يقولُ: مَنْ عَمّرَ ظاهرَهُ باتّباعِ السُّنَةِ وباطنَهُ بدوامِ المراقبةِ، وغضَّ بصرَهُ عن المحارمِ، وكفَّ نفسَهُ عن الشبهاتِ، واغتذى بالحلالِ، لم تُخْطِئ له فراسةٌ.

واللهُ سبحانهُ يجزي العبدَ على عملهِ بما هو مِنْ جنس عملهِ، فإذا غضَّ بصرَهُ عن محارمِ الله عوّضَه اللهُ بأن يُطلِقَ نورَ بصيرَته عِوَضاً عن حَبْس بصرهِ لله. ص: ٢٥٦

١٩- جزاء الإعراض عن محبة الله تعالى:

مِنْ أعرضَ عن محبّةِ اللهِ وذِكرِهِ والشوقِ إلى لقائهِ ابتلاهُ الله بمحبّةِ غيرهِ؛ فيعذّبُهُ بها في الدنيا وفي البرزخِ وفي الآخرة، فإمّا أن يعذّبهُ بمحبّةِ الأوثان، أو بمحبّةِ الصُّلبَانِ، أو المُردانِ، أو محبّةِ النّيران، أو محبة النّسوانِ، أو محبّةِ الأثمانِ، أو محبَّةِ العُشَراءِ، أو محبّةِ الخِلانِ، أو محبّةِ ما دون ذلك ممّا هو في غاية الحقارةِ والهوانِ. ص: ٢٦٠

٢٠- العشق لا يُوصف به الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى:

العشقُ؛ إفراطُ المحبّةِ؛ ولهذا لا يُوصفُ به الربُّ سبحانه، ولا يُطلقُ في حقِّه. ص: ٢٦١



٢١- ماهي الحياة الطيبة؟

وأطيبُ العيشِ وألذّهُ على الإطلاقِ عيشُ المحِبّينَ المشتاقينَ المُستأنسينَ (بالله تعالى)، فحياتُهم هي الحياُة الطيّبَةُ في الحقيقةِ، ولا حياةَ للقلبِ أطيبُ ولا أنعمُ ولا أهنأُ منها، فهي الحياةُ الطيبةُ المذكورةُ في قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النّحل: ٩٧] ص: ٢٦٣

٢٢- المعيّة الخاصة للمؤمنين:

قال تعالى لموسى وهارون عَلَيْهِمَاٱلسَّلَامُ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [طه: ٤٦]

فمتى كانَ العبدُ باللهِ هانَتْ عليه المشاقُ، وانقَلَبَتْ المخاوِفُ في حقّهِ أماناً، فباللهِ يهونُ كلُّ صعبٍ، ويسهلُ كلُّ عسيرٍ، ويقربُ كلُّ بعيدٍ، وباللهِ تزولُ الهمومُ والغمومُ والأحزانُ؛ فلا همَّ مع اللهِ، ولا غمَّ، ولا حُزن. ص:٢٦٧

٢٣- أشرف أحوال العبد مقام العبودية لله تعالى:

ذكرَ اللهُ تعالى أكرَم الخلقِ عليه وأحبَّهم إليه، وهو رسولُه محمدٌّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بالعبوديةِ في أشرفِ مقاماتِه، وهو:

١-مقامُ الدعوةِ إليه: فقال سبحانه: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾ [الجنّ: ١٩].

٢-ومقامُ التحدّي بالنبوّةِ: فقال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البَقَرَة: ٢٣].

٣-ومقامُ الإسراءِ: فقال: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسرَاء: ١].

ص: ٢٦٨

٢٤- الفرق بين المحبّة والخُلّة:

الخُلّةُ تتضمّنُ كمالَ المحبّةِ ونهايَتَها، بحيثُ لا يبقى في قلبِ المحبّ سَعَةً لغيرِ محبوبِهِ، وهي منصبٌ لايقبلُ المشاركَة بوجه ما، وهذا المنصبُ خاصٌّ للخليلَيْنِ صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهما: إبراهيمَ ومحمّدٍ كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنّ الله اتَخذَني خليلاً كما اتَّخذَ إبراهيمَ خليلاً». [مسلم: ٥٣٢]

وفي الصحيح عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قالَ: «لو كُنتُ مُتّخِذاً مِنْ أهلِ الأرضِ خليلاً لاتّخذتُ أبا بكرٍ خليلاً، ولكنّ صاحِبَكُم خليلُ اللهِ». [البخاري: ٣٤٥٦]

ص: ٢٧١-٢٧٢



٢٥- أعقل الناس وأسفه الناس:

أعقلُ النّاسِ مَنْ آثَرَ لذّتَهُ وراحتَهُ الآجلةَ الدائمةَ على العاجلةِ المنْقَضِيَةِ الزّائلة، وأسفهُ الخلقِ مَنْ باعَ نعيمَ الأبَدِ وطيبَ الحياةِ الدائمةِ واللّذةِ العُظْمى التي لا تَنْغِيصَ فيها ولا نقصَ بوجهٍ ما بلذّةٍ مُنقضيةٍ مشوبةٍ بالآلامِ والمخاوفِ، وهي سريعةُ الزّوالِ وشيكةُ الانقضاءِ. ص: ٢٧٥

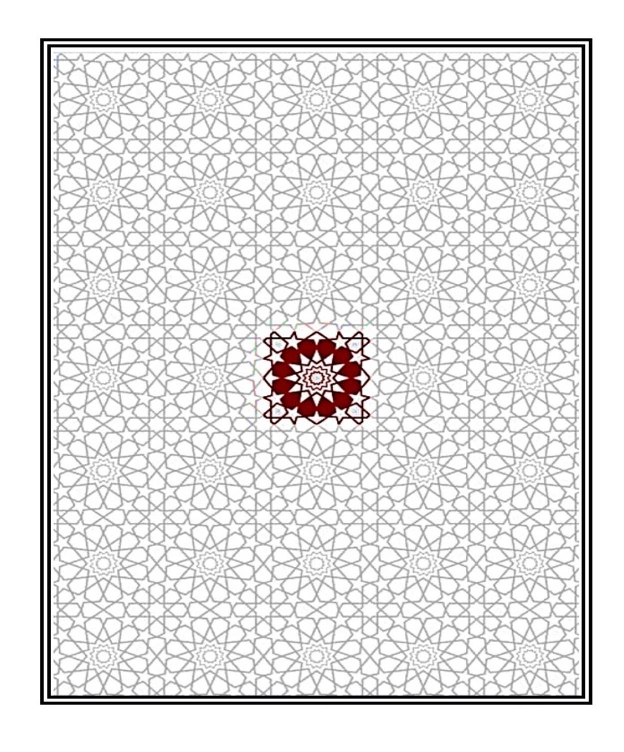
٢٦- كلام نفيس عن كلمة التوحيد:

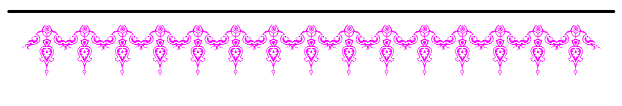
كلمة: لا إله إلّا الله، هي الكلمةُ التي قامت بها الأرضُ والسماواتُ وفطرّ الله عليها جميعَ المخلوقاتِ، وعليها أُسّستْ الملّةُ ونُصِبَتِ القِبْلةُ، وجُرِّدَتْ سيوفُ الجهادِ، وهي محضُ حقّ اللهِ على جميعِ العبادِ، وهي الكلمةُ العاصمةُ للدّمِ والمالِ والذّرّيَةِ في هذه الدارِ، والمنجيةُ من عذاب القبرِ وعذاب النارِ، وهي المنشورُ الذي لا يدخلُ أحدٌ الجنةّ إلّا به، والحبلُ الذي لا يَصلُ إلى اللهِ مَنْ لم يتعلّق بسببه، وهي كلمةُ الإسلامِ، ومفتاحُ دارِ السلامِ، وبها انقسمَ الناسُ إلى شقّيٍ وسعيدٍ ومَقْبولٍ وطريدٍ، وبها انفصلتْ دارُ الكفرِ من دار الإيمان، وتميّزتْ دارُ النّعيم من دار الشقاءِ والهوانِ، وهي العمودُ الحاملُ للفرضِ والسّنةِ «ومن كان آخر كلامه لا إله إلّا الله دخل الجنة» .[مسند أحمد: ٥/٢٣٣]

ص: ٢٧٩








الحلقة الرابعة:
رحيق الشفاء من كتاب الداء والدواء

١- المؤمنُ المخلصُ مِنْ أنعَمِ الناس بالاً:

قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۚ لَا تَبۡدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يُونس: ٦٢-٦٤]

فالمؤمنُ المخلصُ للهِ مِنْ أطيبِ الناسِ عيشاً، وأنعمهِم بالا، وأشرحِهِم صدرا، وأسرّهم قلباً، وهذه جنَّةٌ عاجلةٌ قبلَ الجنّةِ الآجلةِ.

ص: ٢٨٠

٢- مِنْ كُلّ محبوبٍ عوضٌ إلا مِنَ الله تعالى:

إنّ المصابُ في الدنيا يرجو جَبْرَ مُصيبتِه بالعِوَضِ، ويعلمُ أنه أُصيبَ بشيءٍ زائلٍ لابقاءَ له؛ فكيفَ بمَنْ مُصيبته بِمَنْ لا عِوَض عنه، ولابَدَل منه، ولا نِسبةَ بينه وبينَ الدُّنيا جميعِها؟

فاعْرِض الآن على نَفْسِكَ أعظمَ محبوبٍ لك في الدّنيا، بحيثُ لا تطيبُ لك الحياةُ إلّا معهُ، فأصبَحْتَ وقد أُخِذَ منك، وحِيْلَ بينكَ وبينه أحوجَ ما كُنْتَ إليه، فكيفَ يكونُ حالكُ؟ هذا ومنه كلُّ عِوَضٍ؛ فكيفَ بِمَنْ لا عوض عنه؟



كما قيل:

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِذَا ضَيّعتَهُ عِوَضٌ   وَمَا مِنَ اللَّهِ إِنْ ضَيّعتَهُ عِوَضُ

ص: ٢٨٢

٣- أصلُ دعوةِ جميعِ الرّسُل:

أصلُ دعوةِ جميعِ الرُّسلِ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ مِنْ أوّلهم إلى آخرهم: إنمّا هي عبادةُ اللهِ وحدَه لا شريكَ له؛ المتَضمِّنَةُ لكمالِ حُبّه، وكمالِ الخُضوع والذّلِ لهُ، والإجلالِ والتعظيمِ، ولوازِم ذلك: من الطاعة والتّقوى.

ص: ٢٨٣

٤- كلّ حركةٍ في العالم تسبيحٌ لله تعالى:

كلّ حركةٍ في العالَم العُلْوِيّ والسّفْلِيّ، أصلُهَا المحبّةُ، وجميع تلك الحرَكاتِ والإرَاداتِ هي عبادةٌ منهم لربّ الأرضِ والسمواتِ، فلولا الحُبُّ ما دارتِ الأفلاكُ، ولا تحرّكتِ الكواكبُ النّيراتُ، ولا هَبّتْ الرياحُ المسخّراتُ، ولا مرّتِ السُّحُبُ الحاملاتُ، ولا تحرّكتِ الأجنّةُ في بُطونِ الأمّهات، ولا اضطربتْ أمواجُ البحارِ الزّاخراتِ، ولا تحرّكت المدبّراتُ والمقَسّمات، ولا سبّحتْ بحمدِ فاطرها الأرضونَ والسمواتُ، وما فيها من أنواع المخلوقاتِ، فسبحان من ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء: ٤٤]

ص: ٢٨٤-٢٨٦



٥- معنى قوله تعالى: ﴿إِذًا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾:

قال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢]

قيل: المعني لابتغَوْا السبيلَ إليه بالمغَالبةِ والقَهرِ، كما يفعلُ الملوكُ بعضهم مع بعضٍ، ويدُلُّ عليه قولُه في الآية الأخرى: ﴿وَلَعَلَا بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ﴾ [المؤمنون: ٩١]

قال شيخُنا (شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ): والصحيحُ أنّ المعنى: لابتَغَوْا إليه سبيلاً بالتقرّبِ إليه وطاعتِه، فكيفَ تعبدونَهُم من دونِهِ؟ وهم لو كانوا آلهةً كما يقولونَ لكانوا عبيداً له، ويدلّ على ذلك، أنّه سبحانه لم يقُل: لابتغوا عليه سبيلا، بل قال: ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: ٤٢].

وهذا اللفظُ إنّما يُستعمل في التّقرّب، كقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]

وأمّا في المغالبةِ فإنّما يُستعمل بـــ (على)؛ كقوله: ﴿فَإِنۡ أَطَعۡنَكُمۡ فَلَا تَبۡغُواْ عَلَيۡهِنَّ سَبِيلًاۗ﴾ [النِّسَاء: ٣٤]

ص: ٢٨٨

٦- المحبّة المحمودةُ والمذمومَةُ:

المحبّةُ المحمودةُ هي المحبّةُ النافعةُ التي تجلِبُ لصاحبها ما ينفعُه في دنياه وآخرتِهِ، وهذه المحبّةُ هي عنوانُ السعادةِ، وضدّها هي التي تجلبُ لصاحبِها ما يضُرّهُ في دنياه وآخِرَتِهِ، وهي عنوانُ



شقاوته، ولاتقعُ إلا من جهلٍ أو اعتقاد فاسدٍ أو هوىً غالبٍ، أو ما تركّبَ مِنْ ذلك. ص: ٢٨٩

٧- المقصودُ بــ "يوم الدين":

سمّى الله تعالى يومَ القيامة يومَ الدِّينِ؛ لأنّه اليوم الذي يُدينُ فيه النـاسُ بأعمـالـهِم، إنْ خيراً فخيرٌ، وإنْ شراً فشرٌّ وذلك يتضمّنُ جزاءهم وحسابهَم فلذلك فُسّرَ بيومِ الجزاءِ ويوم الحسابِ. ص: ٢٩٢

٨- عبر وفوائد من قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

احتوت قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مع امرأة العزيز على فوائد وعبر؛ فذكرت عِشْقِ امرأة العزيز ليوسفَ وما راودتْهُ وكادتهُ به، كما أخبرت عن صبر يوسُف وعفّتَه وتقواهُ، مع قوّة الداعي وزوال المانعِ من عدّةِ وُجوهٍ:

أحدها: ما ركّبه الله سبحانهُ في طَبْعِ الرجلِ مِنْ ميلِه إلى المرأةِ، كما يميلُ العطشانُ إلى الماءِ والجائعُ إلى الطعامِ.

الثاني: أنّ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان شاباً، وشهوةُ الشّابِّ وحِدّتُهُ أقوى.

الثالث: أنّه كان عَزَباً ليس له زوجةٌ تكسرُ ثورةَ الشهوةِ.

الرابع: أنّه كان في بلاد غُرْبةٍ يتأتّى للغريب فيها مِنْ قضاءِ الوَطَرِ ما لا يتأتّى له في وطنه.

الخامس: أنّ المرأة كانت ذاتَ منصبٍ وجَمالٍ، بحيثُ إنّ كلّ واحدٍ من هذينِ الأمرين يدعو إلى مُواقعتِها.

السادس: أنّها غيرُ ممتنعةٍ ولا آبيَةٍ؛ فإنّ كثيراً مِنَ الناسِ يُزيلُ رغبَتَهُ في المرأةِ إباؤها وامتناعُها.

السابع: أنّها طلَبتْ وأرادتْ وبذلتْ الجهدَ؛ فكفتْهُ مؤنة الطّلب وذُلّ الرغبة إليها.

الثامن: أنّهُ في دارِها وتحتَ سُلطانِها؛ بحيثُ يخشى إنْ لم يُطاوعها مِنْ أذاها له، فاجتمعت الرغبةِ والرهبةِ.

التاسع: أنّه لا يَخْشَى أن تَنِمّ عليه هي ولا أحدَ من جهتها، فإنّها هي المُطالبةُ الراغبةُ، وقد غلّقَتِ الأبوابَ.

العاشر: أنه كان في الظاهرِ في دارها، بحيثُ يدخلُ ويخرجُ ولا يُنْكرُ عليه، وهو من أقوى الدواعي.

الحادي عشر: أنّها استعانتْ عليه بالمكرِ والاحتيالِ والشكوى إلى النّسوة؛ لتستعينَ بهنّ عليه، فاستعانَ هُو باللهِ عليهنّ فقال: ﴿وَإِلَّا تَصۡرِفۡ عَنِّي كَيۡدَهُنَّ أَصۡبُ إِلَيۡهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ٣٣﴾ [يُوسُف: ٣٣]

الثاني عشر: أنها توعّدته بالسّجن والصّغَارِ، وهذا نوعُ إكراهٍ، فاجتمعَ داعي الشّهوةِ وداعيُ السلامةِ مِن السّجن والصّغَارِ.

الثالث عشر: إنّ الزوج لم يظهر منه الغيرة والنّخْوةِ، بل كان غايةَ ما قابلَها به أن قال ليوسف: ﴿أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ﴾ [يُوسُف: ٢٩]، وللمرأة ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلۡخَاطِـِٔينَ ٢٩﴾ [يُوسُف: ٢٩]، وشدّةُ الغيرةِ للرجلِ من أقوى الموانعِ.

ومع هذه الدواعي كلّها آثر يوسف عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ مرضات الله وخوفه، وحمله حُبّه للهِ على اختيار السجن على الزنا: ﴿قَالَ رَبِّ ٱلسِّجۡنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِۖ﴾ [يُوسُف: ٣٣].



وعَلِمَ أنّه لا يُطيقُ صرف ذلك عن نفسهِ، وأنّ ربَّهُ تعالى إن لم يعصِمْهُ ويصرفْ عنه كيدَهُنّ صَبَا إليهنَّ بِطَبْعه وكانَ من الجاهلينَ، وهذا من كمالَ معرفتهَ بربّه وبنفسِه. ص: ٢٩٥-٢٩٨

٩- عِشقُ الصّور:

كّلما قَرُبَ القلبُ مِنْ عِشْق الصّورِ، و قويَ اتّصالُهُ به بَعُدَ مِنَ اللهِ؛ فأبعدُ القلوبِ مِنَ اللهِ قلوبُ عُشّاقِ الصّورِ، وإذا بَعُدَ القلبُ مِنَ اللهِ طَرَقَتْهُ الآفاتُ، وتولّاه الشيطان مِنْ كلّ ناحيةٍ، واستولى عليه وأنالَهُ وَبَالاً وَعَذابا. ص: ٣٠٢

١٠- خطورة استعانةُ العاشقِ بالشياطين:

إنِ استعانَ العاشقُ على وِصالِ معشوقِهِ بشياطين مِنَ الجنِّ -إمّا بسحرٍ أو استخدامٍ أو نحو ذلك- ضمَّ إلى الشّرْكِ والظُّلمِ كُفْرَ السّحرِ، فإنْ لم يفعلْهُ هو ورَضِيَ به كان راضياً بالكفرِ غيرَ كارهٍ لحصولِ مقصدِهِ به، وهذا ليس ببعيدٍ من الكفر.

والمقصودُ: إنّ التّعاونَ في هذا البابِ تعاونٌ على الإثمِ والعدوانِ. ص: ٣٠٧

١١- من أضرار العشق:

كم أزالَ العشق مِنْ نعمةٍ، وأفقرَ منْ غنى، وأسقطَ مِنْ مرتبةٍ، وشتّت مِنْ شملٍ؟ وكم أفسدَ منْ أهلٍ للرجل وولده؟ ص: ٣٠٩



١٢- محبّة الله تعالى:

إنّ أنفعَ المحبّةِ على الإطلاقِ وأوجبَهَا وأعلاها وأجلَّها محبَّةُ مَنْ جُبِلَتِ القلوبُ على محبّتهِ، وفُطِرَتِ الخليقةُ على تألّهِهِ، وبها قامَتِ الأرضُ والسمواتُ، وعليها فُطِرت المخلوقاتُ، وهي سرُّ شهادةِ أنْ لا إلهَ إلّا اللهُ.

وقد دلّ على وُجوبِ محبّتهِ سبحانه جميعُ كُتبهِ المنَزّلةِ، ودعوةُ جميعِ رُسُله، وفطرتُهُ التي فطرَ عبادَهُ عليها، وما ركّبَ فيهم من العُقولِ، وما أسبغَ عليهم مِنَ النّعَمِ، فإنّ القُلوبَ مَفْطُورةٌ مجبولَةٌ على محبّةِ مَنْ أنعمَ عليها وأحسنَ إليها؛ فكيفَ بمَنْ كلُّ الإحسانِ مِنْهُ؟ قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣].

ص: ٣٢٤

١٣- الجمالُ والجلالُ من دواعي المحبة:

المحَبّةُ لها داعيان: الجَمالُ، والجَلالُ، والرّبُ تعالى له الكمالُ المطْلقُ مِنْ ذلك، فإنّهُ جميلٌ يُحبُّ الجمالَ بل الجمالُ كلُّه له، والإجلالُ كلُّه منه، فلا يستحقُّ أنْ يُحَبَّ لذاتِهِ مِنْ كلِّ وجهٍ سواهُ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ص: ٣٢٥



١٤- سعة رحمة الله تعالى:

إنّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أجودُ الأجْوَدينَ و أكرمُ الأكرمينَ، أعطى عبدَهُ قبل أن يسألَهُ فوقَ ما يُؤمّله، يشكرُ القليلَ مِنَ العملِ ويُنَمّيه، ويغفرُ الكثيرَ من الزّلَلِ ويمحوهُ، يسألُه مَنْ في السماواتِ والأرضِ، كلّ يومٍ هو في شأنٍ، لا يَشْغَلُه سمعٌ عن سمعٍ، ولا يغلّطُه كثرةُ المسائلِ، يحبُ المُلحّين في الدعاء، ويستحي مِنْ عبده حيث لا يستحي العبدُ مِنْهُ، ويسترُه حيثُ لا يسترُ نفسَهُ، دعاهُ بنِعَمِهِ وإحسانهِ وأياديهِ إلى كرامتِه ورضوانهِ فأبى، فأرسلَ رسُلهُ في طلبه، وبعثَ إليهم معهم عَهْدهُ، ثم نزلَ سبحانه بنفسِه وقال: «**من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرُني فأغفر له؟**» [رواه البخاري: ٥٩٦٢]

ص: ٣٢٧

١٥- كلّ لذّة أعانت على لذّة الآخرة فهي محمودة:

إنّ لذّاتِ الدُّنيا ونعيمَهَا متاعٌ ووسيلةٌ إلى لذّاتِ الآخرةِ، فكُلُّ لذّةٍ أعانَتْ على لذّةِ الآخرةِ وأوصلتْ إليهَا لم يُذَمّ تناولهُا، بل يُحمدُ بحسبِ إيصالها إلى لذّةِ الآخرةِ.

وإنّ أعظم نعيم الآخرةِ ولذّاتِهَا: هُوَ النّظرُ إلى وجهِ الربِّ جلّ جلالُه، وسماعُ كلامهِ منه، والقربُ منه كما ثبت في الصحيح «**فو اللهِ ما أعطاهُمْ شيئاً أحبَّ إليهم مِنَ النّظرِ إليه**» [مسلم: ١٨١]

وإذا عُرفَ هذا؛ فأعظمُ الأسبابِ التي تُحَصّلُ هذه اللذّةَ هو أعظمُ لذّاتِ الدنيا على الإطلاقِ وهو لذّةُ معرفةِ الله سبحانه، ولذّةُ



محبّتِهِ، فإنّ ذلك هو جنّة الدنيا ونعيمُها العالي، وقُرّةُ العُيونِ، ولذّةُ الأرواحِ، وبهجةُ القلوبِ.

ص: ٣٣٠-٣٣١

١٦- محبّة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

أحْمَدُ أنواعِ الحبّ محبّة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهي التي تَشغَلُ قلبَ المحبِّ وفكرَه وذِكرَهُ بمحبوبه، فهذه المحبة هي التي تُلطّفُ وتُخفّفُ أثقالَ التكاليفِ، وتُسخّي البخيلَ، وتُشَجّعُ الجبانَ، وتُصَفّي الذهنَ، وتُروّضُ النفسَ، وتُطيّبُ الحياةَ على الحقيقةِ، وهي التي تنوّرُ الوجهَ، وتشرحُ الصدرَ، وتُحيي القلبَ. ص: ٣٣٤

١٧- محبّة كلام الله تعالى:

إذا أردتَ أن تعلمَ ما عندك وعندَ غيرِك من محبّةِ الله، فانظرْ محبّةَ القرآنِ مِنْ قلبِكَ، والتذاذَك بسماعِهِ أعظمَ مِن التذاذِ أصحابِ الملاهِي والغناءِ المُطْرِبِ بسماعِهِم، فإنّ مِنَ المعلوم أنّ مَنْ أحبَّ محبوباً، كانَ كلامُهُ وحديثُهُ أحبَّ شيءٍ إليه. وكيفَ يشبعُ المُحِبُّ مِنْ كلامِ محبوبه وهو غايةُ مطلوبِهِ؟

فلمحبّي القرآنِ مِنَ الوجدِ، والذّوقِ، واللّذةِ، والحلاوةِ، والسرورِ أضعافُ ما لمحبّي السماعِ الشيطانيِّ، فإذا رأيتَ الرجلَ؛ ذوقَهُ ووجدَهُ، وطربَهُ، وتشوّقه إلى سماعِ الأبياتِ دون سماعِ الآياتِ، وفي سماعِ الألحانِ دونَ سماعِ القرآنِ، فهذا مِنْ أقوى



الأدلّةِ على فَراغِ قلبهِ مِنْ مَحبّةِ اللهِ وكلامهِ، وتعلُّقِهِ بمحبّةِ سماعِ الشّيطانِ، والمغرورُ يعتقدُ أنّه على شيءٍ!

ص: ٣٣٤-٣٣٥

١٨- محبّة الزوجات:

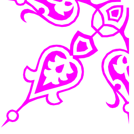
وأمّا محبّةُ الزّوجاتِ؛ فلا لَوْمَ على المحبِّ فيها، بل هي مِنْ كمالِهِ، وقد امتنّ اللهُ سبحانه بها على عباده، فجعلَ المرأةَ سكَناً للرجلِ يسكنُ قلبُه إليها، وجعلَ بينهُما خالصَ الحبِّ، وهو المودّةُ المقرونةُ بالرّحمةِ، وعشقُ الرّجلِ امرأتَه عشْقٌ نافعٌ؛ فإنّه أدعى إلى المقاصدِ التي شرعَ اللهُ لها النكاحَ: وأكفُّ للبصرِ والقلبِ عن التطلّعِ إلى غيرِ أهلِهِ، ولهذا يُحمَدُ هذا العاشقُ عندَ اللهِ، وعندَ الناس.

ص: ٣٣٦







الحلقة الخامسة:
تغريدات من كتاب الداء والدواء

هذه تغريدات مختصرة للنّشر على وسائلِ التواصل الاجتماعي، انتقيتُها مِنْ كتاب الداء والدواء لشيخ الإسلام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وتحتوي في طياتها كثيراً مِنَ المعاني والعِبَرِ والفَوائدِ والعِظاتِ، واعتمدتُ في اختيارها على طبعةِ دار عطاءاتِ العلْمِ التي حقّقَها الشيخُ محمد أجمل الإصلاحي، بإشراف الشيخ العلامَة بكر بن عبد الله بو زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فإلى هذه التغريدات:

١- لِمَنْ ابتُلي بالأمراضِ:

لَمْ يُنْزِلِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ، وَلا أَنْفَعَ، وَلا أَعْظَمَ، وَلا أَشْجَعَ فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ. ص: ٦

٢- الإلحاحُ في الدّعاء:

مِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ في إِزَالةِ الدّاءِ الإِلْحَاحُ فِي الدُّعَاءِ. ص: ١٣

٣- عدم استعجالُ استجابةِ الدّعاء:

قَالَ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لأَحدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي» [البخاري: ٦٣٤٠] ص: ١٥



٤- الاستِغاثَةُ بِـ التَّسبِيح:

قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كُرِبَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، إِلا اسْتَغَاثَ بِالتَّسْبِيحِ». ص: ٢٣

٥- المستفيدُ مِنْ حُسنِ الظّنِ:

حُسْنُ الظَّنِّ يَنْفَعُ مَنْ تَابَ، وَنَدِمَ، وَأَقْلَعَ، وَبَدَّلَ السَّيِّئَةَ بِالْحَسَنَةِ، وَاسْتَقْبَلَ بَقِيَّةَ عُمرِهِ بِالْخَيْرِ، وَالطَّاعَةِ. ص: ٤٩

٦- نموذج مِنْ خوفِ الصحابة:

قال أَبُو الدَّرْدَاءِ: «إِنَّ أَشَدَّ مَا أَخَافُ عَلَى نَفْسِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنْ يُقَالَ لِي: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، قَدْ عَلِمْتَ، فَكَيْفَ عَمِلْتَ فِيمَا عَلِمْتَ»؟ ص: ٩٥

٧- دمعةُ ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ أَسْفَلَ عَيْنَيْهِ مِثْلُ الشِّرَاكِ الْبَالِي مِنَ الدُّمُوعِ. ص: ٩٥

٨- صِغَرُ الذّنْبِ وكبره:

قَالَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ: «بِقَدْرِ مَا يَصْغُرُ الذَّنْبُ عِنْدَكَ يَعْظُمُ عِنْدَ اللَّهِ، وَبِقَدْرِ مَا يَعْظُمُ عِنْدَكَ يَصْغُرُ عِنْدَ اللَّهِ». ص: ١٢٧



٩- مِنْ آثَارِ المعاصي:

حِرْمَانُ العِلْمِ، فَإِنَّ الْعِلْمَ نُورٌ يَقْذِفُهُ اللَّهُ فِي الْقَلْبِ، وَالْمَعْصِيَةُ تُطْفِئُ ذَلِكَ النُّورَ. ص: ١٣٢

١٠- بَيْنَ مالكٍ والشافعي:

قَالَ مَالِكٌ لِلشَّافِعِيِّ لَمَّا قَرَأَ عَلَيْهِ وأَعْجَبَهُ مَا رَأى مِنْ وُفُورِ فِطْنَتِهِ، وَتَوَقّدِ ذَكَائِهِ: "إِنِّي أَرَى اللَّهَ تَعالَى قَدْ أَلْقَى عَلَى قَلْبِكَ نُورًا، فَلَا تُطْفِئْهُ بِظُلْمَةِ الْمَعْصِيَةِ". ص: ١٣٢

١١- مِنْ أقوالِ السّلف:

مَا اسْتُجْلِبَ رِزْقُ اللَّهِ بِمِثْلِ تَرْكِ الْمَعَاصِي. ص: ١٣٣

١٢- تعسيرُ الأمور:

مِنْ عُقوباتِ المَعَاصي تَعْسِيرُ أُمُورِهِ عَلَيْهِ، فَلا يَتَوَجَّهُ لأَمْرٍ إِلا يَجِدُهُ مُغْلَقًا دُونَهُ أَوْ مُتَعَسِّرًا عَلَيْهِ. ص: ١٣٤

١٣- مِنْ فوائدِ الحَسَنات:

إِنَّ لِلْحَسَنَةِ ضِيَاءً فِي الْوَجْهِ، وَنُورًا فِي الْقَلْبِ، وَسَعَةً فِي الرِّزْقِ، وَقُوَّةً فِي الْبَدَنِ، وَمَحَبَّةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. ص: ١٣٥



١٤- شؤمُ تأثيرِ المَعْصية:

إِنَّ لِلسَّيِّئَةِ سَوَادًا فِي الْوَجْهِ، وَظُلْمَةً فِي الْقَبْرِ وَالْقَلْبِ، وَوَهْنًا فِي الْبَدَنِ، وَنَقْصًا فِي الرِّزْقِ، وَبِغْضَةً فِي قُلُوبِ الْخَلْقِ. ص: ١٣٥

١٥- التعوّدُ على الطاعةِ:

لَوْ عَطَّلَ الْمُحْسِنُ الطَّاعَةَ لضَاقَتْ عَلَيْهِ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ، وَأَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ كَالْحُوتِ إِذَا فَارَقَ الْمَاءَ، حَتَّى يُعَاوِدَهَا، فَتَسْكُنَ نَفْسُهُ، وَتَقَرَّ عَيْنُهُ. ص: ١٣٩

١٦- أثرُ المعَاصي على القلبِ:

الْقَلْبَ يَصْدَأُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ، فَإِنْ زَادَتْ غَلَبَ الصَّدَأُ حَتَّى يَصِيرَ رَانًا، ثُمَّ يَغْلِبُ حَتَّى يَصِيرَ طَبْعًا وَقُفْلا وَخَتْمًا، فَيَصِيرُ الْقَلْبُ فِي غِشَاوَةٍ وَغِلافٍ. ص: ١٤٨

١٧- مِنْ عقوبات المَعاصي:

تَسْتَدْعِي نِسْيَانَ اللَّهِ لِعَبْدِهِ، وَتَرْكَهُ وَتَخْلِيَتَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ وَشَيْطَانِهِ، وَهُنَالِكَ الْهَلاكُ الَّذِي لا يُرْجَى مَعَهُ نَجَاةٌ. ص: ١٧٢



١٨- الْمَعَاصِي تُضْعِفُ الْقَلْبَ:

الْقَلْبُ إِنَّمَا يَسِيرُ إِلَى اللَّهِ بِقُوَّتِهِ، فَإِذَا مَرِضَ بِالذُّنُوبِ، ضَعُفَتْ تِلْكَ الْقُوَّةُ الَّتِي تُسَيِّرُهُ. ص: ١٧٨

١٩- الخوفُ مِنَ الله:

مَنْ خَافَ اللَّهَ آمَنَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللَّهَ أَخَافَهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. ص: ١٨٢

٢٠- الطاعةُ ترفعُ النّفس:

مَا صَغَّرَ النُّفُوسَ مِثْلُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ، وَمَا كَبَّرَهَا وَشَرَّفَهَا وَرَفَعَهَا مِثْلُ طَاعَةِ اللَّهِ. ص: ١٨٩

٢١- كيف تدخلُ الآفاتُ إلى القلبِ؟

كلَّمَا كَانَ القلب أَبْعَدَ مِنَ اللَّهِ كَانَتِ الآفَاتُ إِلَيْهِ أَسْرَعَ، وَكُلَّمَا قَرُبَ مِنَ اللَّهِ بَعُدَتْ عَنْهُ الآفَاتُ. ص: ١٩١

٢٢- لماذا تَمْحو البركةُ؟

الْمَعَاصِي تَمْحَقُ بَرَكَةَ الْعُمُرِ، وَبَرَكَةَ الرِّزْقِ، وَبَرَكَةَ الْعِلْمِ، وَبَرَكَةَ الْعَمَلِ، وَبَرَكَةَ الطَّاعَةِ. ص: ١٩٩



٢٣- أقلُّ النّاسِ بركةً:

لا تَجِدُ أَقَلَّ بَرَكَةٍ فِي عُمُرِهِ وَدِينِهِ وَدُنْيَاهُ مِمَّنْ عَصَى اللَّهَ، وَمَا مُحِقَتِ الْبَرَكَةُ مِنَ الأَرْضِ إلا بِمَعَاصِي الْخَلْقِ. ص: ١٩٩

٢٤- الرّابحون:

الرَّابِحُونَ بَاعُوا فَانِيًا بِبَاقٍ، وَحَقِيرًا بِعَظِيم، وَقَالُوا: مَا مِقْدَارُ هَذِهِ الدُّنْيَا مِنْ أَوَّلِهَا إِلَى آخِرِهَا، حَتَّى نَبِيعَ حَظَّنَا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَالدَّارِ الآخِرَةِ بِهَا؟ ص: ٢٤٦

٢٥- كيف تَستمرُّ النِّعَم؟:

إِنَّ نِعَمَ اللَّهِ مَا حُفِظَ مَوْجُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ، وَلا اسْتُجْلِبَ مَفْقُودُهَا بِمِثْلِ طَاعَتِهِ. ص: ٢٤٨

٢٦- لاتأمن مِنْ عُقُوبَةِ الذَّنْب:

الذَّنْبُ لا يَخْلُو مِنْ عُقُوبَةٍ أَلْبَتَّةَ، وَلَكِنْ لِجَهْلِ الْعَبْدِ لَا يَشْعُرُ بِمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ، لأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ السَّكْرَانِ الَّذِي لا يَشْعُرُ بِالْأَلَمِ. ص: ٢٧٢

٢٧- قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ:

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ جَوَّالَةٌ، فَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْعَرْشِ، وَمِنْهَا مَا يَجُولُ حَوْلَ الْحُشِّ. ص: ٢٧٥



ص: ٢٨٠

٢٨- السّعادةُ بالله تعالى:

لا تَقَرُّ الْعَيْنُ، وَلَا يَهْدَأُ الْقَلْبُ، وَلا تَطْمَئِنُّ النَّفْسُ إلا بِإِلَهِهَا الَّذِي هُوَ حَقٌّ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ قَرَّتْ بِهِ كُلُّ عَيْنٍ، وَمَنْ لَمْ تَقَرَّ عَيْنُهُ بِاللَّهِ تَقَطَّعَتْ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسَرَاتٍ. ص: ٢٨٠

٢٩- العافيةُ مِنَ الشّهوات المحرّمة:

إِنَّ طِيبَ النَّفْسِ، وَسُرُورَ الْقَلْبِ، وَفَرَحَهُ وَلَذَّتَهُ وَابْتِهَاجَهُ وَطُمَأْنِينَتَهُ وَانْشِرَاحَهُ وَنُورَهُ وَسَعَتَهُ وَعَافِيَتَهُ مِنْ الشَّهَوَاتِ الْمُحَرَّمَةِ، وَالشُّبُهَاتِ الْبَاطِلَةِ =هُوَ النَّعِيمُ عَلَى الْحَقِيقَةِ.

٣٠- القلبُ السليمُ:

هُوَ الَّذِي سَلِمَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالْغِلِّ، وَالْحِقْدِ، وَالْحَسَدِ، وَالشُّحِّ، وَالْكِبْرِ، وَحُبِّ الدُّنْيَا وَالرِّيَاسَةِ، فَسَلِمَ مِنْ كُلِّ آفَةٍ تُبْعِدُهُ مِنَ اللَّهِ، وَسَلِمَ مِنْ كُلِّ شُبْهَةٍ تُعَارِضُ خَبَرَهُ. ص: ٢٨٢

٣١- الخروجُ عَنِ الصراطِ المستقيم:

مِنْ أَعْظَمِ عُقُوبَاتِ الذُّنُوبِ: الْخُرُوجُ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ. ص: ٢٨٦



٣٢- صفةُ العملِ الصالح:

العملُ الصّالح هُوَ: الخالي مِن الرِّياء، المقيَّد بالسُّنّة. ص: ٣٠٣

٣٣- مِنْ آفات النظر:

أَنَّهُ يُورِثُ الْحَسَرَاتِ وَالزَّفَرَاتِ وَالْحَرَقَاتِ؛ فَيَرَى الْعَبْدُ مَا لَيْسَ قَادِرًا عَلَيْهِ وَلَا صَابِرًا عَنْهُ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعَذَابِ. ص: ٣٥١

٣٤- التفكّرُ في عُيوبِ النّفس:

الْفِكْرَةُ فِي عُيُوبِ النَّفْسِ وَآفَاتِهَا عَظِيمَةُ النَّفْعِ، وَهي بَابٌ لِكُلِّ خَيْرٍ، وَتَأْثِيرُهَا (كبير) فِي كَسْرِ النَّفْسِ الأَمَّارَةِ بِالسُّوءِ، وَمَتَى كُسِرَتْ عَاشَتِ النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ وَانْتَعَشَتْ. ص: ٣٥٧

٣٥- حفظُ اللّفظات:

وَأَمَّا اللَّفَظَاتُ، فَحِفْظُهَا بِأَنْ لَا يُخْرِجَ لَفْظَةً ضَائِعَةً، بَلْ لَا يَتَكَلَّمُ إِلا فِيمَا يَرْجُو فِيهِ الرِّبْحَ وَالزِّيَادَةَ فِي دِينِهِ. ص: ٣٦٣

٣٦- مِنْ فوائدِ الذّكر:

وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِسَيِّئَاتٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ فَيَجِدُ لِسَانَهُ قَدْ هَدَمَهَا مِنْ كَثْرَةِ ذِكْرِ اللَّهِ تعالى. ص: ٣٧٥



٣٧- مِنْ مَفَاسِدِ الزّنا:

يُوجِبُ الْفَقْرَ، وَيُقَصِّرُ الْعُمُرَ، وَيَكْسُو صَاحِبَهُ سَوَادَ الْوَجْهِ، وَثَوْبَ الْمَقْتِ بَيْنَ النَّاسِ. ص: ٣٧٨

٣٨- مِنْ أسبابِ سُوءِ الخاتمةِ:

الإكبَابُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالإِعْرَاضُ عَنِ الأُخْرَى، وَالإِقْدَامُ وَالْجَرْأَةُ عَلَى مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ ص: ٣٨٦

٣٩- غَضُّ البَصرِ:

غضّ البصرِ يُورِثُ الْقَلْبَ أُنْسًا بِاللَّهِ، وإِطْلاقَ الْبَصَرِ يُفَرِّقُ الْقَلْبَ وَيُشَتِّتُهُ، وَيُبْعِدُهُ مِنَ اللَّه. ص: ٤١٦

٤٠- عَوَّضَهُ اللّه خيراً مِنْه:

مَنْ تَرَكَ لِلَّهِ شَيْئًا عَوَّضَهُ اللَّهُ خَيْرًا مِنْهُ، فَإِذَا غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ، عَوَّضَهُ اللَّهُ بِأَنْ يُطْلِقَ نُورَ بَصِيرَتِهِ، وَيَفْتَحَ عَلَيْهِ بَابَ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ، وَالْمَعْرِفَةِ وَالْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ. ص: ٤١٧

٤١- عِنْدما تكونُ المحبّة عَذاباً!

مَنْ أَعْرَضَ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَذِكْرِهِ وَالشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، ابْتَلاهُ بِمَحَبَّةِ غَيْرِهِ؛ فَيُعَذِّبُهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَفِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْآخِرَةِ. ص: ٤٢٥



٤٢- أعقلُ النّاسِ:

أَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ آثَرَ لَذَّتَهُ وَرَاحَتَهُ الْآجِلَةَ الدَّائِمَةَ عَلَى الْعَاجِلَةِ الْمُنْقَضِيَةِ الزَّائِلَةِ. ص: ٤٥٠

٤٣- الإقبالُ على اللهِ تَعالى:

لا شَيْءَ عَلَى الإِطْلَاقِ أَنْفَعُ لِلْعَبْدِ مِنْ إِقْبَالِهِ عَلَى اللَّهِ، وَاشْتِغَالِهِ بِذِكْرِهِ، وَتَنَعُّمِهِ بِحُبِّهِ، وَإِيثَارِهِ لِمَرْضَاتِهِ، بَلْ لا حَيَاةَ لَهُ وَلا نَعِيمَ وَلا سُرُورَ وَلا بَهْجَةَ إِلَّا بِذَلِكَ. ص: ٤٦١

٤٤- مِنْ أدلّة التّوحيدِ:

صَلاحُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاسْتِقَامَتُهَا، وَانْتِظَامُ أَمْرِ الْمَخْلُوقَاتِ عَلَى أَتَمِّ نِظَامٍ مِنْ أَظْهَرِ الْأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شريك لهُ. ص: ٤٧١

٤٥- دواءُ العِشّقِ:

لَيْسَ هناك دَوَاءٌ للعشق أَنْفَعُ مِنَ الْإِخْلاصِ لِلَّهِ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا خَلَصَ لله وَأَخْلَصَ عَمَلَهُ لِلَّهِ لَمْ يَتَمَكَّنْ مِنْهُ عِشْقُ الصُّوَرِ. ص: ٤٩١

٤٦- خُطورةُ عِشّقِ الصّورِ:

لَيْسَ شَيْءٌ أَضْيَعَ لِمَصَالِحِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا مِنْ عِشْقِ الصُّوَرِ. ص: ٤٩٤



٤٧- أعظمُ المحبّةِ على الإطلاق:

إنّ أَنْفَعَ الْمَحَبَّةِ عَلَى الإِطْلَاقِ وَأوجَبها وأَعْلاهَا وَأَجَلَّهَا مَحَبَّةُ مَنْ جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى مَحَبَّتِهِ، وَفُطِرَتِ الْخَلِيقَةُ عَلَى تَأَلُّهِهِ. ص: ٥٣٢

٤٨- عِشْقُ المُردان:

هُوَ مَقْتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَبُعْدٌ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَهُوَ أَضَرُّ شَيْءٍ عَلَى الْعَبْدِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. ص: ٥٦٥

٤٩- حقيقةٌ مؤلمةٌ:

قال بعض السلف: إِذَا سَقَطَ الْعَبْدُ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، ابْتَلَاهُ بِمَحَبَّةِ الْمُرْدَانِ. ص: ٥٦٥

٥٠- دواءُ عِشْقِ المُرْدان:

الِاسْتِعَانَةُ بِمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ، وَصِدْقُ اللَّجَأِ إِلَيْهِ، وَالاشْتِغَالُ بِذِكْرِهِ، وَالتَّعَوُّضُ بِحُبِّهِ وَقُرْبِهِ. ص: ٥٦٦

وصلّى الله تعالى وسلّم على عبده ونبيّه مُحمّد وآله وصحبه وسلّم.







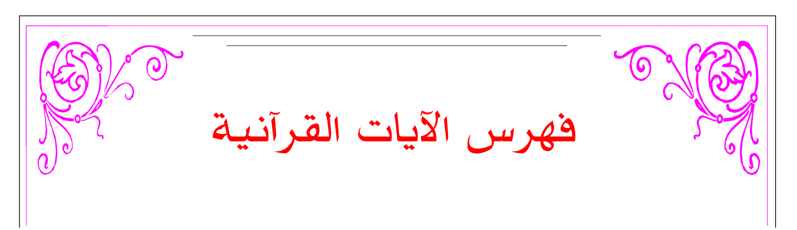


فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

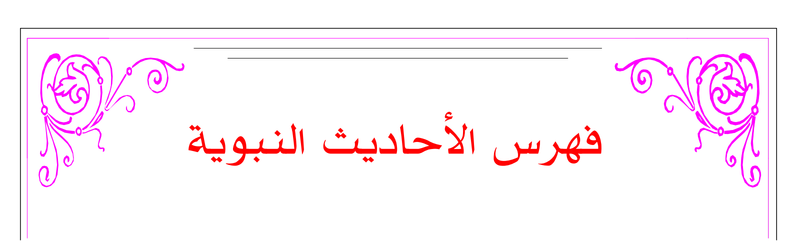
فهرس الموضوعات





فهرس الآيات القرآنية



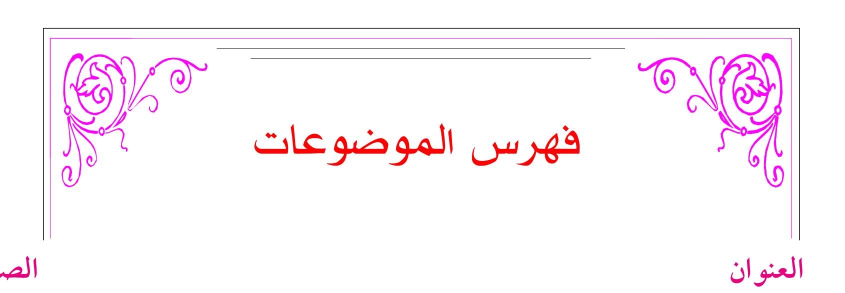


فهرس الأحاديث النبوية









فهرس الموضوعات

❊ ❊ ❊







هذه فوائد لطيفة ومعاني شريفة، ومنقولات ماتعة ومواعظ نافعة، انتقيتُها واختصرتُها من كتاب الداء والدواء لصاحب المؤلفات المفيدة، والتعليقات السديدة، الإمام المصّنِف، العلامة المحقّق ابن قيم الجوزية رحمه الله.

وقد جاءت هذه اللطائف والعبر، والجواهر والدرر تحت العناوين الآتية:

1-مختارات من كتاب الداء والدواء.

2-فوائد من كتاب الداء والدواء.

3-روائع الانتقاء من كتاب الداء والدواء.

4-رحيق الشفاء من كتاب الداء والدواء.

5-تغريدات من كتاب الداء والدواء.



